السنة الاولى
أول فبراير سنة ١٩٣٠



العدد الرابع
المجلد الاول

(لصاحبها ومحررها سلامه موسى)

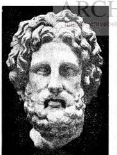
ناس كالآلهة وآلهة كالناس

جمال الوجه الانسانى وجلاله

كان جوتيه أديب الالمان العظيم يقول: « ادرسوا موليير أو ادرسوا شكسبير ولكن قبل كل شيء ادرسوا الاغريق القدماء — دائماً الاغريق »

وهذا هو ما يفعله رجال الأدب والفنون الآن ينظرون الى الاغريق ويستوحونهم. بل نحن على الرغم مما يقال فى استهجان هذه الحضارة التى تحوطنا نعيش فى عصر هو أقرب العصور الى روح الاغريق القدماء. فنحن نعنى بالرياضة والجمال ولنا فيهما مباريات كما اننا قد أحيينا النحت وهو فن وثنى كان التوحيد قد قضى عليه ثم انتعش فى زماننا بهذا التسامح الدينى الذى يجعلنا نشك و نرتاب فى ما خلفه لنا السلف من يقين كان يجزم به و يقتل المخالفين له

بل نحن نرى الآن بعد أن أبحنا لأنفسنا الكلام فى الوثنية والتوحيد بروح النزاهة انه كان للوثنية الاغريقية ميزات ليست فى التوحيد



رأس اسكليبيوس رب الطب والصحة

كما ان فى التوحيد ميزات ليست فى الوثنية . فللتوحيد قيمة أخلاقيـــة لأنه يعمل للسلام والاخاء والمساواة بين بنى البشر وان كان هذا الكلام لا يمكن اطلاقه على التوحيد اليهودى . وللوثنية قيمة فنية لأنه يجعل الجمال احدى الغايات التى يعيش لها الانسان . فالوثنية تدعو الى النحت . وبهذا الفن صار للمثال العظيم مقام الكاهن العظيم هو ينشد الجمال فى تماثيل الآلهة كما أن الكاهن ينشد الأخلاق

ولكن المثال مهما بلغت قدرته لا يستطيع أن ينحت الاله العظيم إلا فى هيئة الانسان ولا يمكنه أن يتخيله فى شكل آخر . وهو من أجل ذلك يحتاج إلى أن يتمثله فى ذهنه إنساناً جميلا جليلا ينطق وجهه بالصدق والاخلاص ويكن نفساً تنزع الى المجد والعلى . وبعبارة أخرى نقول انه وهو ينحت تمثال الاله يجب أن يتخيل المثل الأعلى من الانسان وبهذا أنزل الوثنيون آلهتهم الى مقام الانسان ولكنهم فى الوقت نفسه رفعوا الانسان الى مقام الآلهة

قال مكسيموس أحد علماء صور القديمة : « العادة عند الاغريق أن يجعلوا آلهتهم تمثل أجمل ما على الأرض من المادة النقية والشكل الأنسانى والفن التام . ومن المعقول جداً أن تصاغ التماثيل الالهية فى هيئة انسانية لأن روح الانسان هى أقرب الأشياء الى الله بل هى إلهية جداً »

رأس فينوس ربة الجمال . وقد قسم الوجه مربعات لاثبات ان الجمال لا يتوقف على ما تفهمه من التناسب والتساوي في الملامح

ومن هنا جمال هذه التماثيل الاغريقية القديمة . فان المثال الذى كان يصنعها كان يعتقد أن الطبيعة لم تبلغ قط درجة الكمال فكان لذلك يزيد عليها وكأنه ينقحها فلا ينحت التمثال من المرمر ولا يصوغه من الذهب أو البرونز على أصل انسانى معروف بل يتخيل الجمال الانسانى وجلال الطبيعة الانسانية فيصوغ أو ينحت تمثاله على هذا الخيال . ولهذا السبب نجد الآن عند ما ننظر الى أحد التماثيل الاغريقية القديمة اننا لا نرى شخصاً بعينه بل نرى طرازاً جديداً من الانسانية لم يخلق بعد بل نرى جمالا يختلط معناه فى ذهننا : هل هو جمال أو جلال ؟

ولعل هذا الاختلاط ناشىء من اننا الآن ننظر الى نجوم السينماتوغراف ونرسم فى أذهاننا صورة من الجمال مكتسبة من وجوههن وهى وجوه انثوية بالغة فى الأنوثة. بينما المثل الأعلى للجمال عند الاغريق كان الرجل ولم يكن المرأة. ويمكن القارىء أن يتأمل وجه الربة فينوس. فلولا أنه يرى ثدييها لظن وجهها وجه رجل. ومن هنا ندرك أن الأغريق القدماء كانوا أصدق فراسة فى الجمال وكانوا فى ذلك على وفاق مع الطبيعة التى تزين الذكر وتكسبه الجمال قداً وحلياً بينما الأنثى عاطلة منهما. بل يمكنك أن تقول أن الاغريق كانوا ذكوراً فى مزاجهم يتخيلون المثل الأعلى للجمال فى الرجل. بل كانوا يجعلون للكهولة جمالا يزرى بجمال الشباب كما يرى القارىء فى وجه الرب اسكليبيوس إذ هو مع لحيته الكثة وشعره المتجعد يمثل جمالا انسانياً سامياً



راس اطون رب الصحة والشفاء وابن الرب زفس

ويبدو فيما خلفوه من تماثيل انهم كانوا اكثر نحتاً لتماثيل الرجال منهم لتماثيل النساء. وقد ذكر شيشرون الرومانى قصة تدل على هذا المزاج وهى أن الاغريق فى مدينة كروتون أرادوا أن يقيموا للملكة هيلانه التى كانت السبب لحرب طرواده تمثالا. فلما جاء المثال الى المدينة طلب من اهلها أن يقدموا له شبابهم من الذكور فاختار منهم خمسة شبان يتلألؤن جمالا وروعة. ثم طلب بعد ذلك الاخوات الأناث لهؤلاء الخمسة فجىء له بهن فصار يدرس وجوههن وقدودهن حتى اختار منهن واحدة كانت له الانموذج الذى نحت عليه تمثال الملكة ولكنه لم يجعله أنموذجاً للنقل والنسخ بل للخيال فقط يستأنس بالطبيعة لكى يعلو عليها ويسمو بخياله فوقها. وانما عرف جمال المرأة عن سبيل الرجل الذى جعله المقياس الأصلى للجمال

والفنون الاغريقية كانت خيالية لا تنزل على الواقع بل تسمو عليه. وكانت وثنيتهم أعظم ما يدفعهم الى الخيال. لأنه اذا كان المثال لا يستطيع أن يصنع الآله فى جمال وروعة وجلال تفوق الانسان فكيف يمكن أن يقنع الناس بأنه إله ؟

لهذا السبب صارت الوثنية الاغريقية وثنية فنية جميلة وصارت أصنامهم أو تماثيلهم الالهية مثلا

أعلى يتجه اليه نظر الأمة و يصوغ أخلاقها و يقرر مزاجها . وكان من أثر ذلك أن صار الاغريق يعنون اكبر العناية بالجمال بل صار الجمال لازمة من لوازم حياتهم يطلبه الرجل فى زوجته كما تطلبه الزوجة فى زوجها وكلاهما يطلبه فى المدينة والمسكن والملبس والرياضة . بل كانت المباريات الرياضية عندهم مباريات فى الرشاقة كما هى فى القوة . فاذا جاز لنا أن نقول أن آلهتهم كانت مثل الناس فانه يجوز أيضاً أن نقول انهم كانوا اناساً مثل الآلهة . لأن المرأة التى لم تكن تنزع نحو الملامح الألهية التى ترى على وجوه التماثيل كانت تهمل فى الزواج فلا تنسل . وانما يقتصر النسل على الرجال والنساء الذين يقربون فى تقاسيمهم وقدودهم من التماثيل وبذلك أصبح لهذا الفن الوثنى ثر بيولوجى فى تكوين الافراد



رأس هرمس رسول الالهة ومدبرها

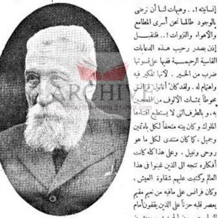
وكلمة أخيرة نقولها عن الجمال الاغريقي وهو انه لم يكن مقصوراً على الحلاوة التى نراها الآن فى النساء السينمائيات . وتكاد تنحصر هذه الحلاوة فى تناسب الأعضاء والتساوى فى التقاسيم كما هو الشأن فى نساء الشركس . وانما كان جمالهم فتنة وروعة وجلالا ولو كان فى ذلك مخالفـــة للتناسب والتساوى كما يرى القارىء فى وجه الربة فينوس فهو على جماله الفائق لا يستوى فيه النصف اليمين بالنصف اليسار كما تدل على ذلك المربعات التى رسمت لايضاح الفرق بينهما

ونحن الآن لا نصوغ التماثيل للارباب والربات ولكننا نرسم الرسوم أو نصنع التماثيل لكى تمثل لنا فكرة كالرجاء أو الخوف أو الحكمة أو القداسة أو نحوها . والفرق بيننا وبين الاغريق يكاد ينعدم فى هذه الرسوم أو التماثيل إذ كل ما يفصلنا منهم أنهم كانوا يقولون « رب الرجاء » أو « ربة الحكمة » أو نحو ذلك . أما نحن فلا نضع لفظة الربوبية بل نجعل التمثال أو الصورة رمزاً لهذه المعانى . ومن هنا يتضح لنا أن الفنون الجميلة هى فى لبابها وثنية

بسمات للحياة

للاستاذ احمد الصاوى محمد

بسمات للحياة !.. ومن هو أولى برسم البسمة على الشفاه من أناطول فرانس؟ انه هو نفسه بسمة كبيرة، كبيرة ملء هذه الدنيا !.. واذا وجدته فى ابتسامته ساخراً فلا تنقم عليه. انه سخر الانسان من إنسانيته !. . وهيهات لنا أن نرضى بالوجود طالما نحن أسرى المطامع والأهواء والنزوات !.. فلنقبل إذن بصدر رحيب هذه الدعابات القاسية الرحيمة ففيها على قسوتها ضرب من الخير . لأنها تفكير فيه واهتمام له . ولقد كان أناتول فرانس محوطاً بمئات الألوف من المعجبين به، و بالطرف التى لا يستطيع اقتناءها الملوك و كان بيته متحفاً لكل ماهو ثمين وجميل، كما كان منتدى لكل ما هو روحى ونبيل . وعلى هذا كله كانت أفكاره تتجه الى الذين غبنوا فى هذا العالم وكتبت عليهم شقاوة العيش، وكان فرانس على مافيه من نعيم مقيم يعصر قلبه حزناً على الذين يقفون أمام النار يصهرون الحديد و يعيشون بعرق الجبين



اناطول فرانس

ظهر فى الشهر الماضي كتاب جديد عن اناطول فرانس الفه نيقولا سيجور دون فيه بعض آراء هذا الاديب الفرنسي ونكاته الادبية وقد نقل لنا هذه الصفحات التالية منه الاستاذ احمد الصاوي محمد

أخشى أن تكون مقدمتى حزينة وهى لكلمات باسمة .. ولكنها الحياة دمعة وابتسامة !..

٥٥٥

باب جهنم

فى صباح ذلك الاحد استقبل اناطول فرانس النساء الجميلات وهن يدخلن ، او بالأحرى كان يعلن قدوم كل واحدة منهن بقوله :

— باب جهنم !...

وعند ما دخلت السيدة ف . أضاف :

— باب قديم من أبواب جهنم !.. وقد اجتازته كل الشياطين !..

ولما دخلت السيدة د . قال :

— باب بديع ولوجه عسير . أو على الأقل هذا ما أتمناه . وما ألذ الدخول منه ، لو اقتضى ذلك الحياة ثمناً !...

ثم بدأ يفسر اعتبار الأديان أن الحب خطيئة . وقال ان ذلك الزنجى الأفريقى ، ترتليان ، هو الذى أسمى المرأة « باب جهنم » ولم يدر بخلده مبلغ ماق وصفه من الحق . ولم يكن الحب قبل هذا الأفريقى الا ضياع وقت وفكاهة لا طائل منها لا للارض ولا للسماء !.. ولقد كنا نعرف قبل هذا الأفريقى أن ثمة جهنم . ولكننا كنا نجهل جغرافيتها . حتى جاء فدلنا على بابها . وحبب الينا دخولها

الاشتراكية

واستقبل فرانس زواره فى « فيلا سعيد » ذلك اليوم وهو يقول بيأس زائف :

— ان الاشتراكية غير ممكنة أيها الصحب !.. ذلك أن تقاليد الرأسمالية تشرف الثراء بقوتها المعروفة ولا سبيل لنا الى التغلب عليها . والفقراء أنفسهم يجلون هذه التقاليد . وهم يجلونها أكثر من الأغنياء أنفسهم ! انظروا ماحدث لى أنا . فان نياتى وأفكارى اشتراكية . ولكن ما نفعها ما دام أن كل الذين من حولى يعارضونها ؟... ذلك النجار الذى جاء منذ أيام ليرتب مكتبتى ويصلح رفوفها قد أبدى للعيان المجلدات الفاخرة وأخفى ذات التجليد العتيق وزواها فى ركن مهمل من جنب الحائط ! انه فقير وهو كذلك يخجل من الكتب الفقيرة !.. ومن هذا القبيل وصيفتى التى تلقى الى سلة الأوراق المهملة كل مجلد طال عليه القدم واصفر غلافه . وعند بابى كلب يعض الفقراء الذين يقفون به ويمزق بأسنانه كل من كان زرى الهيئة ... فكيف والحالة هذه تدعم الاشتراكية ؟ إنى أفهم كيف أن تولستوى وقد أراد أن يحيا حياة الملائكة ، أعنى حياة المساواة ، قد هجر بيته وولى الأدبار ... أما والانسان له بيت وخدم وحشم وكلاب ، فهو من ذوى الأملاك ، أى من ذوى القوى والسلطان وأنصار التقاليد الرأسمالية . وصاحبنا روتشيلد ، الذى يمثل أصحاب الاموال ، له عزة وملك كبير . بينا نحن نقف على أقدامنا ، جيوبنا خالية الوفاض لا نملك الا بضعة مقالات فى الصحف وبضعة خيالات فى

الروس !.. ويالها من قسمة ضيزى وحرب علينا لا لنا . وليس لنا على أى حال أن نفقد الشجاعة !.. فقد تندحر يوماً ما .. فإن سحابة لا تزيد على منديل الجيب قد تعلن هبوب العاصفة .. وشيعة ضئيلة من المتهوسين قد صارت بعد ذلك المسيحية ذات البأس الشديد !

ooo

الشاعر الساحر

وبعد أن تكلم أناطول فرانس كعادته على عبث كل شىء فى الوجود ، بدأ يمجد الشعر والقريض :

— ان الشاعر أعظم ملك . انه اله . وان بنات الشعر يحملن اليه سلام القلب ، ومسرات الفؤاد انه من دون أن يتحرك عن مائدته يكتشف مثل كولمبوس عوالم جديدة . ومن دون أن يغادر منضدته يغزو مثل شرلمان الأمم الأربع الأولى . ومن دون أن ينهض عن مكتبه يحب مثل دون جوان كل نساء الأرض

ان من أجله يكتشف الرجال كل ما هو جميل ويقومون بكل ما هو حماسى جليل . من أجله نشأت فتنة هيلانة وأبهة كليوباترا . وهو يجمع كل الانفعالات ويحيا كل الحيوات ، ويستقبل كل الافراح ويتحمل كل الأتراح من كل من يدب ويسعى فى هذا الكون . . .

ويا له من سلطان عظيم ! انه يحشد الكلمات ، تلك الكلمات الفارغة التى ينطق بها همك ، ولكنها هى التى تغير معالم الدنيا

ما كان أصدق الحكماء فى لعنهم اكتشاف الكتابة ! . . يالها من شىء خطير هذه الكتابة ! . . ان الذى يكتب يسود المستقبل . وتبعاً لأهوائه تأخذ عنا الذريات القادمة ما تريد . إن الشاعر يحكم على الأحياء والموتى جميعاً

خذوا درامة ، مكبث ، مثلا . فقد كان ملكا كريماً . وقد أثبت المؤرخون أنه لم يقتل أحداً ، وأن زوجته كانت امرأة فاضلة ، وانه لم يكن على يديها أى أثر للدماء . . . ولكن من ذا الذى يمكنه أن يصدق طيبة قلب بطل المأساة ؟ أن شكسبير قد أراد أن يجعل من الملك القديم رجلا آثما منحوساً . فوضع لطخاً حمراء على يدى زوجته ، وقد رأى الأعقاب ، وسيرون دائماً ، فى مكبث قاتلا وغاصباً ، وفى امرأة مكبث فاجرة مخضبة البنان بالدماء . . .

ولن يستطيع انسان أن يراجع قضيتهما أو يرد اليهما حقهما . ان الشاعر قد تكلم . ولن تسمع الأجيال الا صوته !

احمد الصاوى محمد

الاسكندر ذو القرنين

وأثره في تاريخ العالم المتمدن

يفصل الاسكندر بين عصرين هما العصر القديم عصر الفراعنة والامبراطرة والكهنة والرق والمقايضة وعصرنا الحديث عصر الجمهوريات وحقوق الافراد والعلم والمدارس والنقود. وقد ولد سنة ٣٥٦ ومات سنة ٣٢٣ قبل الميلاد ولكنه على بعده منا بنحو ٢٢٠٠ سنة ما زلنا نجد اننا قريبون



الاسكندر « ذو القرنين »
كما هو منقوش على أحد النقود التي سكت برسمه وعلى رأسه قرن الرب امون
وهذا الرسم مكبر من نقد فضي صغير سك في عهد خليفته على تراقيا

من عصره وما يتلوه بعيدون جدا مما قبله . ومن هـذه الوجهة يمكننا أن نعده أول ملك من ملوك العالم سار على آراء عصرية أو عاش فى وسط اراء عصرية أو أن الظروف التى حاطته جعلت لتاريخه المسحة العصرية ومن هنا أهميته فى درس التاريخ

وقبل أن نبسط القول فى أهميته هذه نحتاج الى شرح هذا اللقب الذى لزمه وهو « ذو القرنين » فان هذا اللقب جعل كثيرين من المؤرخين العرب يشكون فى شخصه هل هو الاسكندر المقدونى وكيف يكون كذلك وله قرنان على خلاف ما يعهد فى الناس . أو هل هو شخص آخر قد سبق هذا الفاتح المقدونى ؟

ولكن الواقع الذى يمكن اثباته الآن من النقود القديمة التى سكت وعليها صورة الاسكندر أن هذا الفاتح المقدونى هو نفسه ذو القرنين . وذلك لأن الاسكندر عند ما فتح مصر احتفل به الكهنة المصريون وجعلوه ابناً للرب أمون . وصار بعد ذلك ينقش صورته وعلى رأسه قرن قد نبت منها : هو قرن الالوهية . فلما شاعت هـذه النقود فى العالم الاغريقى وكان فى أيام الاسكندر يمتد من البحر المتوسط الى الهند توهم الناس من صورته وما سمعوه عن فتوحاته أنه كان فوق البشر وان هذا القرن سمة الألوهية . وقد كان القدماء مثل المصريين والمحدثون مثل اليابانيين يؤمنون ببنوة الانسان للآلهة . وذاع بعد ذلك انه كان للاسكندر قرنان

ويجب على القارىء أن يخلى ذهنه من المعنى الحديث السيء للقرون وعليه أن يتذكر أن العرب كانوا يصفون الرجل العظيم بانه « كبش القبيلة » وان أحد الانبياء عند ما وقف يخاطب الله نبت له قرنان من نور . وان الاسفنكسات التى تؤدى الى معبد الكرنك كانت تماثيل لها أجسام الأسود ورءوس الكباش . وان حبيب امون الذى كان يميز له ابنه كان كبشا اقرن

وفى الشهر الماضى عرضت بالمعرض الذى اقامته وزارة المعارف للفنون الجميلة بشارع نوبار بالقاهرة صورة أحد الأرباب الرومانية القديمة وهو الرب فون من أرباب الحقول وله قرن أعصل كبير

وكل هذه الأمثلة تدلنا على أن القرن كان فى الأزمنة القديمة برهان الالوهية والعظمة

أما وقد انتهينا من شرح هذه النقطة فلننظر فى أهمية الاسكندر التاريخية . واول ذلك انه بحروبه التى جمعت ما بين مصر والهند أذاع فى الشرق تلك الحضارة الاغريقية وجعل العالم المتمدن يحس بشيء من تلك الرابطة الانسانية التى تربط الأمم على الرغم من اختلافها لونا ولغة ودينا . فقد كانت الأديان الوثنية الشائعة ايام الاسكندر وقبله تعمل للرابطة القومية . لكل امة آلهتها التى تختص لها بل كان التوحيد اليهودى قوميا وهو ما يزال الى الآن كذلك . وهـذه الحركة الصيونية هى حركة دينية تعمل للقومية ولا تعمل للعالمية . ولكن الاسكندر حاول أن يؤالف بين شعوب العالم المتمدنة

و يجعلها كلها اتحاداً واحداً يجمع بين المصريين والفرس والاغريق بل حاول أن يجمع بين الآلهة. وقد سبق ان قلنا أن الكهنة المصريين جعلوه ابناً من ابناء الرب المصرى امون ولكنه هو عقد بين أمون المصرى وآلهة الاغريق تآلفاً جديداً شاعت به عبادة الآلهة فلم تعد تختص بامة دون اخرى. ولم يحقق الاسكندر هذا التآلف أو الاتحاد بين هذه الامم ولكنه على كل حال استطاع أن يحقق بينها تعارفاً ربما كان البذرة الأولى للتفكير بعد ذلك فى النزعات الدينية التوحيدية التى كانت ترمى الى توحيد العالم فى دين واحد مثل الاسلام والمسيحية

ولكن هذا التعارف زاده أيام الاسكندر وسيلة اخرى غير وسيلة الحرب هى النقود. فان التجارة كانت تسير الى قبيل الاسكندر بالمقايضة. ولكن أحد ملوك اسيا الصغرى اخترع النقود فشاعت قليلا حتى اذا كان الاسكندر عممها فى العالم فكان تعميمه لها اكبر وسيلة للسياحة والتعارف بين الشعوب. وذلك انك اذا تأملت النقد الفيته أعظم وسيلة للسياحة اذ لولاه لوجب على المصرى الذى يريد السفر الى سوريا أن يحمل معه من البضائع ما يمكنه من السفر بالمقايضة عليها. وقد يستطيع أن يحمل سبيكة من الفضة أو الذهب ولكن اقتطاع جزء منها يحتاج الى صائغ. والأرجح أن المصريين القدماء كانوا قبل اختراع النقود يستعملون هذه السبائك ولكن النقود جعلت الانتقال من بلدة الى أخرى بل من قطر الى آخر سهلا. وكان فى ذلك التعارف بين الامم الذى نشأ منه التآلف كما نشأت منه معان اخرى من لاخاء الانسانى





الكبش «حبيب امون» وجد فى الشلال الثالث
وهو الان فى متحف برلين

ونحن نعيد هنا ما قلناه انفاً من أن الاسكندر بشخصه لم يكن مهماً للتاريخ ولكنه كان مهما بالوسط الذى عاش فيه وبالظروف التى حاطته وبالحروب التى اندفع فيها والتى كان الفضل فيها فى الارجح لأبيه فيلبس فى تهيئة الجيوش لها فقد عاش الاسكندر فى أرقى الأوساط فى العالم فى زمنه ذاك وهو وسط الثقافة الاغريقية التى كان يزينها ارسطوطاليس ومن اليهم من الفلاسفة

ونقول أرقى الأوساط فى الثقافة لأن الأمم الأخرى كانت الثقافة ما تزال فيها وقفا على الكهنة وهم بعد الاطباء. والطب ما يزال فى اللغة العربية يعنى الكهانة والسحر. فلم تكن العلوم أو الفلسفة

أو الآداب شائعة بين الامم القديمة وانما كان يختص بها خدمة الدين فقط. أما فى مدن الاغريق فقد أخذت العلوم تستقل من الدين وتخرج من أيدى الكهنة الى أيدى الفلاسفة والعلماء. وكذلك التعلم لم يعد وقفاً على تخريج الكهنة فقط بل صارت المدارس تؤسس لتعليم الناس علوماً لا علاقة لها بالدين بل ربما كانت تناقض الدين. وجامعة الاسكندرية ومكتبتها انما هما غرس البطالمة الذين تثقفوا بهذه الثقافة الاغريقية وهم من دم الاسكندر وأسرته وقد نشأوا نشأته

وخلاصة القول اننا بعد الاسكندر نرى عالماً جديداً قد سادته حضارة جديدة وآراء جديدة يمكن حصرها فيما يلى :

١ ــ كانت التجارة قبل الاسكندر بالمقايضة فصارت بعده بالنقود وانفتح بذلك باب جديد للسياحة والتعارف بين الأمم وزيادة التجارة

٢ ــ كانت العلوم والآداب والثقافة كلها وقفاً على الكهنة مصطبغة بالدين فى فارس ومصر وما بينهما فصارت بعده مستقلة تنشأ المدارس وتعلم فيها العلوم التى ربما تناقض الدين

٣ ــ افشى الاسكندر بفتوحاته بين الشرقيين الذين نشأوا على احترام الامبراطرة أو عبادتهم نظريات جديدة عن الجمهورية والديمقراطية وحرية الفرد وحقوقه

٤ ــ كانت فتوحات الاسكندر سبيلا الى التعارف وبذوة جديدة لفكرة التوحيد السياسى بين الأمم التى فتحها. وهذه الفكرة نراها بعد ذلك واضحة فى المسيحية والاسلام

البطرك المصرى فى الحبشة

فى الشهر الماضى سافر رئيس الكنيسة المصرية إلى الحبشة حيث قضى هناك عيد الميلاد وقوبل باحتفالات لا يقابل بمثلها أو بما يقاربها إلا فى بلاد مثل الحبشة حيث للتقاليد الدينية حرمة كبيرة جداً. وهناك أسباب عدة لزيارته هذه، أهمها الاتفاق بشأن الخلاف الذى نشب بين الأقباط والأحباش فى القدس عن دير السلطان. فكلاهما يدعى امتلاكه وينازع الآخر. والسبب الآخر هو محاولة التأليف بين الكنيستين المصرية والحبشية بعد أن اتضح أن بعض الأحباش يرغبون فى الانفصال



الرأس تفرى الذى يحكم الحبشة الآن مع الامبراطورة زيديتو

ومع أن هذا الانفصال يضر بمصلحة المصريين ويجعل من الحبشة أمة أجنبية عنا بينما هى الآن أمة صديقة ترعى لنا بنوتها للكنيسة المصرية فان للأحباش قضية يمكنهم أن يدافعوا عنها فى شأن هذا الانفصال الذى يرغبون فيه. فقد احتكوا منذ القرن السابع عشر بالكنيسة الكاثوليكية وقصدت اليهم بعوث بروتستانتية وإنشأ هؤلاء وهؤلاء مدارس حديثة عملت على ترقيتهم بينما الكنيسة المصرية التى تبعث اليهم بالمطران المصرى لم تنشىء بينهم مدرسة ثم هم يرون كنيسة مصر متأخرة فى تعليم الكهنة وانشاء المدارس لهم ويقولون أن المطران الذى يرسل اليهم يكون على الدوام رجلا جاهلا. وقد أثنوا على المطران المصرى السابق مقاومته لانشاء المدارس وحضه الناس على منع أبنائهم من التعليم لما يعود اليه من مفاسد التفرنج. وهذا مع العلم بأن الكنائس الأخرى تفتح المدارس لأبناء الأحباش. بل هم يرون من جمود الكنيسة المصرية ما يبعثهم على الرغبة فى الانفصال. فبينما العالم المسيحى كله وهو يبلغ نحو اربعمائة مليون نفس يحتفل الآن بعيد الميلاد

فى الخامس والعشرين من شهر ديسمبر ما يزال المصريون المسيحيون وحدهم وهم لا يبلغون المليون يحتفلون به فى السابع من شهر يناير . وهذا الاختلاف ليس دينياً بل هو فلكى أى أن الكنيسة الأوروبية أصلحت التقويم بينما الكنيسة المصرية لم تصلحه

وفى الحبشة حزبان الآن : أحدهما يقوده الرأس تفرى وهو يرغب فى الانفصال . وهو رجل مستنير زار أوربا وأدرك معنى الحضارة و يريد أن ينزع بالحبشة نحوها و يرى أن بقاء بلاده مع الكنيسة المصرية يؤخرها . والآخر هو حزب الامبراطورة زيديتو ابنة منليك وهى ترغب فى البقاء مع الكنيسة القبطية وتكره المذاهب المسيحية الأوروبية

وفى الحبشة الآن طائفة من المعلمين الاقباط أرسلتهم وزارة المعارف المصرية وهى تدفع مرتباتهم للتدريس فى أديس بابا وهم يلاقون الأمرين من مزاحمة المدارس التى أنشأها الكاثوليك هناك . فالراس تفرى يساعد هذه المدارس الكاثوليكية و يأبى على المدارس التى يدرس فيها الاقباط أية مساعدة وقد حاولت الكنيسة المصرية ايجاد تسوية والوصول الى ما يشبه الصلح فى العام الماضى بأن رسمت لأول مرة فى التاريخ أربعة أساقفة من الأحباش . ولكن كل هذا ترقيع لا يقنع رجلا مثل الراس تفرى . والخطة السديدة للكنيسة المصرية أن تسير مع تيار الرقى العام

لى ياسو المخلوع وهو معتقل الآن

فى العالم فترفع مستوى التعليم بين الكهنة وتبعث بالبعوث العلمية لأوربا وتستغل الفنون الجميلة فى تزيين الكنائس حتى تضارع الكنائس الكاثوليكية

وسكان الحبشة يقدرون بنحو ثمانية ملايين ومنهم عدد غير قليل من المسلمين واليهود . وفى الكنيسة الحبشية الى الآن بعض العادات الوثنية التى تمت الى أفريقيا وبعض الشعائر التى تمت الى اليهودية القديمة . وليس الأحباش من حيث السلالة واللغة أفريقيين وانما هم سبأيون تمت لغتهم بألفاظ كثيرة الى لغة سبأ التى كانت باليمن ومن هنا بعض الألفاظ التى تشترك فيها مع العربية . وقد دخلت المسيحية الحبشة عن طريق مصر فى القرن الرابع وهى الى الآن مثل الكنيسة المصرية بيزنطية فى الشعائر والرسوم

والبلاد مازالت متأخرة يجرى فيها الرق ويشيع فيها التسرى ويتعامل الناس بالمقايضة أو بقضبان الملح بدلا من النقود



صورة المسيح من ريشة رسام حبشي وقد نزع في الرسم نحو الطريقة البيزنطية

ولما مات منليك سنة ١٩١٣ أوصى المطران المصرى فى أديس أبابا بان يتبه لى ياسو بأن يخلفه على عرش الحبشة . وكان لى ياسو هذا فتى مستيراً أحس منه الحلفاء سنة ١٩١٦ ميله الى الألمان والأتراك فدسوا له الدسائس حتى خلعوه وهو الآن معتقل . وكل ما استطاعوا أن يتهموه به أمام الأحباش أنه يريد أن يهجر المسيحية ويدين بالاسلام واتخذوا برهانا على ذلك صداقته لأحد الأعيان المسلمين فى الحبشة وهو تاجر معروف كان لى ياسو يزوره ويقعد عنده . وبعد خلعه صار الحكم الى خالته الأمبراطورة زوديتو والراس تفرى ابن الراس مكونن .

والأمبراطورة كما قلنا تحب توثيق الارتباط بالكنيسة المصرية بينما الراس أو الملك تفرى يرغب فى قطعها . ولا بد أن يكون لزيارة البطرك المصرى تسكين وقتى للحالة ولكنه لن يكون تسكيناً دائماً

الهند أمة شرقية

أمة تتمسك بالتقاليد ولو قتلتها

من محاضرة لسلامه موسى في الجامعة الامريكية بالقاهرة

نتكلم هذا المساء عن الهند لا لأننا نقصد الهند بالذات بل لأننا نريد أن نجعل منها تكأة نتكىء عليها في وجوب انضمامنا للغرب ونزوعنا عن الشرق . وظروف هذا العام تقضى علينا ببحث هذا الموضوع اذ يمضي بهذا العام على ميلاد اسماعيل مائة سنة . واسماعيل هو الأمير الثائر على الشرق الذي سار بنا نحو أوربا شوطاً بعيداً وهو الذي أقام حياتنا المدنية على أسس غربية واليه يعزى ما لدينا من حضارة وما نتمتع به من مدارس أو محاكم أو أنظمة مدنية

وانما نختار الهند لأنها بعيدة عنا ولأن الكلام في تقاليدها التي تعمل بها لا يجرح كرامتنا التاريخية وان كنا نجد لها عندنا شبهاً في تقاليدنا . ولكنه شبه ضعيف جداً . لأننا ونحن في أبعد الأحوال رجعية لم نكن قط مثل الهند . وربما كان أعظم الأسباب لذلك أن الاسلام دين ديمقراطي يعمل للمساواة بين رجال الأمة بينما أديان الهند تعمل للتفاوت والتفريق

في مصر طائفة من الكتاب تدعونا لأن نكون شرقيين لهم جمعية تدعى « الرابطة الشرقية » ولهم مجلات مثل المنار أو الزهراء أو الفتح لا تفتأ تطعن في التجديد . وهذه المجلات تدأب في الطعن في شباب مصر والسعاية بينه وبين الشيوخ واتهامه بالتفرنج الذي يعنون منه التهتك والكفر والخلاعة وترك التقاليد الشرقية

فأي الاثنين أصدق وأخلص لخدمة مصر في دعوته : اسماعيل باشا الذي دعانا الى التفرنج أو هذه المجلات التي تطلب منا أن نلزم الشرق ولا نحيد عن تقاليده ؟

واحدة من اثنتين : اما أن اسماعيل باشا كان مخطئا في دعوته لنا الى اتخاذ المدنية الغربية وهذا الخطأ ما يزال قائماً لأن حكومتنا تجرى على الأصول التي أقامها لنا . و إما أن طائفة الرجعيين مخطئة في دعوتها لنا الى لزوم التقاليد الشرقية ونبذ الحضارة الغربية

وأنا أعتقد أن الأمير المصري كان مصيباً ومخلصاً . أما هؤلاء الرجعيين فغير مصيبين مهما اخلصوا

شقاء الهند

والآن نتكلم عن الهند باعتبارها أمة شرقية لزمت الى حد كبير تقاليدها الشرقية ونرى هل انتفعت

بهذه التقاليد أم استضرت بها وهل لو أتيح لهـا ملك ذكى مثل اسماعيل دعاها من ستين أو خمسين سنة الى الحضارة الغربية وترك تقاليدها هل كانت تبقى الى الآن فى شقائها الحاضر ؟

وأنا فيما أحدثكم به هذا المساء عن الهند أعتمد على كتاب ألفته آنسة أمريكية هى الآنسة كاترين مايو . وقد تكون بالغت فى رسم الصورة ولكن اذا كان ذلك هو الواقع فالغاية هى ابراز الصورة وليست الادعاء على الهنود بالدعاوى الكاذبة

ومن هذه الصورة يمكننا أن نقف على العوامل التى تعمل لتأخر أمة شرقية وتهوى بها الى حضيض الانسانية . وبعد ذلك يمكننا أن نتساءل : هل واجب المصرى المخلص لبلاده أن يتشبه بالهندى أو الجاوى أو الصينى أو يجب عليه أن يتشبه بالألمانى والبلجيكى والانجليزى : أيتهما أفضل لنا حضارة الشرق أم حضارة الغرب ؟ وماهو الأجدر بنا : أن نعمل لتأليف « رابطة شرقية » أم « رابطة غربية » ؟

وسنتكلم عن ثلاثة أشياء ترى بارزة أشد البروز فى الهند هى : ١ — الفقر البالغ و ٢ — انحطاط المرأة و ٣ — نظام الطبقات

فقر الهند العظيم

لا بد أنكم سمعتم عن الفاقة البالغة فى الهند وتوالى المجاعات وان بعض العمال يتناولون الأفيون لكي يخففوا ألم الجوع . فما هو السبب لهذا الفقر ؟

هناك جملة أسباب اذا لم يكن الاستعمار البريطانى أهمها فهو واحد منها : فهنا الاستعمار هو الرق الجديد فى القرن التاسع عشر وهو من مساوىء المدنية الغربية التى لا يمكن انكارها . وكل مؤمن بالحضارة الغربية وعصبة الامم ومبادىء الثورة الفرنسية يجب أن يستنكر الاستعمار ويستنكر الأمبراطورية البريطانية ويرجو لها نهاية قريبة . ويجب أن تكون صيحتنا فى القرن العشرين الغاء الاستعمار كما كانت صيحة القرن التاسع عشر إلغاء الرق

ولكن بعد ذلك يجب أن نعرف ان الهند فقيرة لأنها أمة شرقية تعيش بالزراعة ولا تعيش بالصناعة . وكل أمة فى العالم الآن تقتصر على الزراعة لا مهرب لها من الفقر . ولكن هذه الصناعة التى تعمل للثروة والقوة هى من مخترعات أوربا ولا يمكن اتخاذها الا بعد اشراب النفوس بمبادىء الحرية والثقافة الاوربية . فلكي تصير الهند غنية قوية يجب أن تتفرغ من هذه الناحية بل يجب قبل اتخاذ الصناعة أن تتخذ الأخلاق الاوربية وتمارس الوسائل التى تحد من النسـل حتى لا يزيد عدد السكان بل حتى ينقص . والهنود يبلغون الآن ٣٢٠ مليوناً يعيشون فى فاقة وضيق وعادات قذرة تجلبها هذه الفاقة فلو كانوا ١٦٠ مليوناً لرفهوا عن أنفسهم وسعدوا بقلتهم . وهم الآن يضيقون بكثرة العدد وقلة الطعام وسوء المسكن واللباس . ولكن الهنود يؤمنون بالقدر فلا يمارسون أية وسيلة لضبط التناسل فيفيض السكان على حاصلات البلاد ويعيشون فى ضنك لا يريم عنهم

والسبب الآخر لفقر الهنود هو تقاليدهم الدينية . فالهندوكيون يقدسون البقرة ولا يذبحونها .

والبقرة مادامت تحلب فهى مفيدة لا بأس من اقتنائها والانتفاع بها . ولكنها اذا انتفت هذه الفائدة منها لم يبق غير ذبحها والانتفاع بلحمها وجلدها وهذا هو ما نفعله نحن فى مصر بالبقر والجاموس ولكنهم فى الهند أبعد منا فى النزعة الشرقية ولذلك هم اكثر احتراماً للتقاليد . فالدين يأمرهم بتقديس البقرة وهم يطيعون هذا الدين ولهم براهمة تقوم على هذا الدين وصونه من عبث المجددين ولذلك ففى الهند نحو ٧٠ مليون بقرة تعيش حول القرى وهى سائبة لا يجوز قتلها بل هى اذا ماتت موتاً طبيعياً لا يجوز أيضاً سلخها والانتفاع بجلودها . واذا اعتدلنا فى التقدير لقلنا أن كل بقرة تأكل ما يعادل فى الحساب الزراعى قوت انسان فكأن الهنود بهذه التقاليد يكلفون أنفسهم مؤنة ٧٠ مليون نفس يعيشون عيالا عليهم . وبعبارة أخرى نقول ان هذا البقر الذى يرتع فى المروج يحجز من الارض التى تخصص لرعيه ما كان يمكن زرعه والانتفاع بغلاته طعاماً للناس . وقد يمكنكم أن تقولوا أن المجاعات التى حدثت وما زالت تحدث فى الهند قد يعلل جزء منها الى وجود هذا البقر أما أثره فى الفاقة الضاربة على البلاد فلا يحتاج الى جدال

وسبب آخر للفقر فى الهند هو وجود نحو ستة ملايين شحاذ يعيشون بالكدية وهم أشبه الناس بأولئك الرهبان الذين كانت تغص بهم مدن أوربا فى أواخر القرون الوسطى حين كانوا عيوناً على الناس لمحاكم التفتيش وكانوا فى آخر أمرهم من أعظم الأسباب لظهور النهضة البروتستنتية والثورة على البابا . فهؤلاء الشحاذون الهنود يجعلون من النسك فضيلة وما هو نسكهم ؟ هو أن يعيشوا عيالا على غيرهم فلا يعملون فى الحقل أو المصنع وانما يصلون ويدعون ويأكلون ما يجنيه العامل بكد يديه وعرق جبينه . وأنتم اذا تأملتم القطر المصرى الفيتم الأيدى العاملة فيه لا تزيد عن ستة ملايين نفس وسائر السكان أطفال ونساء . فكأن الهند بهؤلاء الشحاذين الذين يعيشون بسلطان الدين وميزة التقاليد تقيت أمة مثل مصر فى عدد السكان . والديانة الهندوكية لا تعارض فى وجود هؤلاء الشحاذين بل هى تعمل على بقائهم وتكبر من فضيلة نسكهم وبقائهم عاطلين يعيشون بالسؤال والشحاذة

وآخر الأسباب لفقر الهند هو وجود الأرامل . فالأرملة الهندية ونعنى هنا الهندوكية كانت الى قبل سبعين سنة تقريباً تحرق عند وفاة زوجها . ولكن الانجليز على الرغم من محايدتهم للاديان فى الأمم التى يتغلبون عليها اضطروا الى التدخل ومنعوا إحراق الأرامل . ولكن التقاليد الدينية التى كانت تطالب بالاحراق ما زالت حية تطالب الهنود باحتقار الأرملة التى لا يمكنها أن تتزوج أو تعمل عملا شريفاً تعيش منه فأرامل الهند هن ملايين من النساء يعشن فى عطلة قهرية تعمل بالطبع للحد من ثروة البلاد

فهذه أسباب خمسة تعمل لفقر الهنود أحدها يرجع الى الاستعمار الانجليزى . أما الأربعة الأخرى فتعود الى التقاليد الشرقية أو الدينية تلك التقاليد التى تجعل الهنود يعيشون بالزراعة دون الصناعة

ولا يحدون من نسلهم الذى يفيض على غلات البلاد والتى تجعلهم يقدسون البقر ويمارسون الشحاذة الدينية و يعطلون أراملهم عن العمل

انحطاط المرأة

واذ قد عرفنا الآن أن فقر الهند يعود الى التقاليد الهندية والشرقية فلنبحث عن انحطاط المرأة الهندية

وليست الهند وحدها هى التى تغدر بنسائها غدراً عظيما وتذلهن وانما هى فى ذلك تستوى والأقطار الشرقية الأخرى وان كان هناك فرق فهو فى الدرجة وليس فى النوع . وأذكر لكم بهذه المناسبة أن اليهودى الذى يعيش فى القاهرة الآن ما زال يصلى لربه و يشكره على أنه لم يخلقه امرأة وانما خلقه رجلا ممتازاً على النساء . ولكن اليهود ملائكة اذا قوبلوا بالهنود من حيث النظر الى المرأة ومعاملتها

فالهندى قد نزل الآن عن حقه الدينى القديم فى احراق الأرملة ولكنه ما زال يحتقرها و يعدها شؤما لا يحب أن يرى وجهها . فهى تختبئ فى البيوت كلما رأت ضيفا . تعيش فى الزوايا و يخفى عنها الأطفال لئلا تؤذيهم بعينها ويقال لها أنها ترملت لأنها عاشت قبل مجيئها على هذه الأرض وارتكبت من المعاصى ما جعل الآلهة يعاقبها بهذا القضاء الذى قضى عليها بالترمل . الى مثل هذا الحد يفعل الدين بالانسان و بأن هذه الآلهة الهندية لا ترتفع الا بسقوط الكرامة الانسانية أمامها

ولكننا مع ذلك لم نذكر شيئاً من هوان الانسان أمام هذه الآلهة الهندية . وسأذكر لكم بعض ما قاله هذه الآنسة الأمريكية كاترين مايو وهى امرأة يجب أن تعرفوا أن حياءها يمنعها من أن تذكر كل شىء . فهناك فى الهند يعمد الهندى المتدين الى احـــدى بناته فيرصد حياتها لخدمة الدين وينذرها لأحد الآلهة . فيحملها صبية الى المعبد حيث تتعلم الرقص والغناء أى الرقص الدينى والترنم بالأدعية والصلوات فاذا بلغت سن الشباب صارت بغياً للكهنة فاذا ذهب جمالها طردت من المعبد فتصير بغياً لسائر الناس . هذا هو البغاء الدينى الذى يذكرنا بالمعابد الكلدانية قبل ٣٠٠٠ سنة وهذا هو الهوان الذى يقضى به على بعض النساء الهندوكيات وهو هوان يجعلنا نتساءل : لماذا لا يثور الهنود على آلهتهم بدلا من أن يثوروا على الانجليز وهل يظلم الانجليز و يستعبدونهم مثلما تستعبدهم هذه الآلهة ؟

ان فى مصر الآن أديباً ايطالياً يدعى السنيور ماريتى قد ابتدع طريقة « المستقبلية » وهى تتلخص فى هجران الماضى والغاء المتاحف والنزوع نحو المستقبل فى الفنون الجميـــلة والدوس على التقاليد القديمة . وقد تجدون فى ذلك مبالغة لا يبررها العقل ولكن اذا كان ماريتى مبالغاً فى هجران الماضى وهدم التقاليد فان الهنود يبالغون جداً فى احترام هذه التقاليد والتقيد بقيودها ولو خيرنا بين الاثنين لآثرنا نزعة ماريتى ولو ملأت العالم فوضى لأن هـذه الفوضى اليق بالكرامة الانسانية من ذلك النظام الهندى الذى يضع الانسان فى التراب و يدوسه بالأقدام

ويخطر ببالي أنه عندما تكبر عصبة الأمم وتنزل على الخيال الذى تتخيله لها حين تصير حكومة العالم وتقرر أدنى الحدود للحرية السياسية عند جميع الأمم . يجب أيضاً عليها أن تقرر أدنى حد للحرية الدينية وتمنع مثل هذه الآلهة الهندية من الاستبداد بالهنود والحط من كرامتهم الانسانية

نظام الطبقات

ولكن الآلهة الهندية لاتقنع باذلال المرأة بل تذل الرجال أيضاً وبدلا من أن تعمل للوحدة الهندية تعمل لتفريق الأمة وتقسمهم طبقات : فى الذروة العليا طبقة البراهمة السائدة وفى أدنى السلم طبقة المنبوذين . وفى الهند ستون مليوناً من هؤلاء المنبوذين . ولكن من ينبذهم ؟

ليس الذى ينبذهم هم الانجليز المستعمرون وانما الذى ينبذهم ويقصيهم عن الحياة المدنية والدينية والانسانية هم الهنود أنفسهم . وهم منبوذون بحكم الدين والتقاليد يعيشون فى الهند وكأنهم ليسوا هنوداً اذا وقع ظلهم على طعام صار نجساً لاتجوز مخاطبتهم أو تعليمهم ولا يجوز لهم أن يتناولوا كتاباً دينياً كما لا يجوز لهم أن يستقوا من بئر أو يرسلوا أولادهم الى المدرسة أو يدخلوا صيدلية أو محكمة أو فندق أو مطعم . فاذا احتاج واحد من هؤلاء المساكين الى شراء شيء من حانوت بعث وسيطاً للقيام بهذا العمل . واذا سار أحدهم وجب عليه أن يتجنب الطريق العام ويتخذ طريقا بعيداً لا يسلكه الناس وذلك خوفاً من أن يتلوثوا بنجاسته اذا وقع ظله عليهم أو اقترب منهم . واذا كان أحد هؤلاء المنبوذين قريباً من الطريق العام بينه وبينه أقل من ٢٠٠ متر وجب عليه أن يضع ورقة خضراء يثبتها بحصاة أو تراب حتى اذا مر أحد البراهمة ورأى الورقة وقف ونادى وهنا يجرى المنبوذ بعيداً ثم يصيح : « لقد بعدت فتكرم بالمرور »

وليس هؤلاء المنبوذون مليونا أو عشرة أو عشرين بل ستين مليوناً أى أنه يمكنهم أن يؤلفوا أربع أمم مثل الأمة المصرية : ولكن الآلهة الهندية تنكر عليهم انسانيتهم وتستبد بهم وتذلهم . والهنود لا يثورون على هذه الآلهة احتراماً للتقاليد . وبديهى أن هؤلاء المنبوذين يرتكبون الجرائم بل الواقع انه ليس لهم الآن شيء يشعرهم بكرامتهم سوى هذا الفوز الوقتى بارتكاب الجريمة والانتقام من الناس بأية صورة

فاذا كان الهنود لا يرعون لاخوانهم الهنود حقوقهم فهل يرعاها لهم الانجليز ؟

الشرق والغرب

لقد اخترنا الكلام عن الهند لأنها بعيدة عنا لا يجرحنا الطعن فى تقاليدها ولأنها أيضاً أبلغ مثال فى المحافظة على التقاليد وبعبارة أخرى نقول أنها أكثر الأمم نزوعاً نحو المبادئ الشرقية وذلك لأن الشرق هو على وجه الاجمال أكثر رعاية للتقاليد وجموداً نحو الاصلاح من الأمم الغربية . وعندنا

نحن تقاليد سيئة مثل التقاليد الهندية وخصوصاً فى معاملتنا للمرأة والفلاح . ولكن اذا كان الكلام عن نسائنا يجرح كرامتنا ويثير كبرياءنا فن الحكمة أن ننظر للمرأة الهندية ونعرف نهاية النظر الشرقى اليها وماذا أدى بها هذا المنطق

ونحن الآن فى فترة تردد وشك : هل نبقى شرقيين مثل الهند أو الصين أو جاوه أو ننزع نحو الغرب لكى نصير مثل المانيا أو انجلترا أو دنمركا ؟

لقد سأل اسماعيل باشا نفسه هذا السؤال وانضم الى الغرب وأدخل قانون نابليون فى محاكمنا . ولكن علينا أن نتمم ما بدأ ونسير فيما شرع لنا فيه . أى علينا أن نتخذ الصناعة ونعمد الى الاصلاحات الاجتماعية الفاشية فنعممها بين عمالنا وفلاحينا . وهنا يجب أن تذكروا أننا عندما نعمد الى ذلك لانقترض شيئاً غريباً عنا لأن العلم الذى هو أصل الصناعة الاوربية لم يزرع بذرته فى أوربا سوى العرب . وأوربا الآن مدينة بحضارتها الصناعية الى العرب أكثر جداً مما هى مدينة بها الى الاغريق أو الرومان

وأخيراً أقول أنه قد فشت فى مصر فاشية سيئة جدا وهى اتهام كل من يدعو الى اصلاح الاحوال التى يعيش فيها الفلاحون أو سائر العمال بالشيوعية . وكأن تهمة الشيوعية أصبحت سلاحا يحارب به الراغبون فى الاصلاح كما كانت تهمة الهرطقة سلاحا يحارب به الناس أيام محاكم التفتيش فى أوربا . فالفلاح يسكن الآن عشة أو خصاً أو كوخا ليس به مرحاض فاذا طلبنا أن يكون له مرحاض نعب علينا ناعب بأن هذا الطلب يعنى بالشيوعية . ولكن من منكم يستطيع أن يعيش فى منزل بلا مرحاض ويمكنه أن يحتفظ بكرامته الانسانية ؟ أو ليس للفلاح المصرى كرامة انسانية يجب أن نحترمها أو هل يجب أن نعامله كما يعامل المنبوذون فى الهند ؟

وإذا كانت الشيوعية نكبة يجب أن نتوقاها بكل سلاح . فأقوى الأسلحة التى تمكننا من مقاومتها هى الاصلاحات الاجتماعية . أى يجب أن نعمم التعليم بين الفلاحين ونحتم على المالكين بناء بيوت صحية لهم ونمنح من يبلغ منهم الخامسة والستين معاشاً يحفظ كرامة الشيخوخة ويقيهم ذل السؤال ونوسس مكاتب العمل للبحث عن أعمال للعاطلين ونحو ذلك من الاصلاحات . وبهذا وحده نتقى الشيوعية التى نخافها

العرب أصل النهضة العلمية الاوربية

ملخصة بتصرف عن مقال في ذى ريالست الانجليزية

أقدم الجامعات فى اوربا هى جامعات طليطلة وقرطبة واشبيليه وهى التى أزدهرت فى أيام العرب. ثم كان أقدم الجامعات التى ظهرت فى اوربا المسيحية بعدها جامعات دينية انشئت فى باريس واكسفورد . وكانت المدارس فى سالرنو وبولونيا ومونبليه فى ايطاليا وفرنسا الثغور للثقافة العربية

وكان من ميزات الثقافة العربية أنها عنيت بعلوم الأغريق دون أدابها فنقلها العرب وزادوا عليها ونقحوا فيها. فقد أخذوا الكيمياء المصرية فجعلوها علما تجريبياً لم يختلط بالصوفية الا فى أواخر تاريخهم . اما الطب والفلك والبصريات والميكانيات فقد برعوا فيها وأخذوا الجبر الهندى الممزوج بالبلاغة فاستعملوه فى الرياضة كما أخذوا الأرقام الهندية

وهذه العلوم هى أصل النهضة الاوربية وقد كان يسايرها أدب الاغريق وثقافتهم فى الفلسفة والمنطق وما إليهما ولكن هذه الثقافة كانت تؤخر اوربا بينما هذه العلوم كانت تعمل لتقدمها. ونحن نرى روجر بيكون فى القرن الثانى عشر يراقب هاتين الحركتين حركة الأدب والفلسفة من الاغريق وحركة العلوم التجريبية من العرب فيقول : « لو كان لى ان أفعل ما اشاء لأحرقت جميع الكتب التى الفها أرسطو طاليس لأن درسها لا يؤدى الا الى ضياع الوقت ولا ينتج غير الجهل »

وقد ولد روجر بيكون هذا سنة ١٢١٤ ومات سنة ١٢٩٤ وكان يدرس فى جامعة اكسفورد وهو يمثل لنا الفرق بين الطريقة الاغريقية طريقة التفكير الفلسفى والطريقة العربية طريقة التجربة التى اندفع اليها العرب بتجاربهم الكيماوية ونحن ننقل هذه القطعة التالية منه لأنها تمثل صراعاً بين طريقتين فى زمنه :

« اما وقد شرحنا المبادىء الاساسية لحكمة اللاتينيين كما هي موضحة في اللغة والرياضة والبصريات أرغب الآن في أن اشرح مبادىء العلم التجريبي وذلك لانه بدون التجارب لا تمكن معرفة شيء على وجه الكفاية . وذلك ان هناك طريقتين للتعلم او اكتساب المعرفة هما طريقة التفكير وطريقة التجربة . فبالتفكير نستنتج النتائج ونسلم بها ولكن التفكير لا يجعل النتائج يقينية ولا هو يزيل الشكوك حتى يسكن العقل الى الحقيقة ما لم يهتد العقل الى هذه الحقيقة من سبيل التجربة . ومن الناس كثيرون يستطيعون المناقشة فيما يمكن معرفته ولكنهم لا يناقشون لان التجربة تنقصهم وبذلك لا يتجنبون الضرر ولا يتبعون المفيد . وذلك انه اذا كان ثم رجل لم ير النار يمكنه بالتفكير ان يثبت أن النار تحرق وتتلف الاشياء فان عقله لا يقتنع بذلك وهو ايضا لا يتجنب النار بذلك ما لم يضع يده او يضع شيئاً يحترق فى النار

فيثبت بالتجربة ما قاده اليه تفكيره . وبعد ان يجرب هذه التجربة العملية بالنار تتضح له الحقيقة . ومن ذلك نقول ان التفكير لا يقيننا وانما التثبت في التجربة »

ويجمع الآن المؤرخون حوادث تلك القصة التى سبقت كوبرنيكوس بنحو اربعمائة سنة وهى قصة تسرب المعارف العلمية الى اوربا قبل النهضة الكبرى . وخلاصة هذه القصة انه عقب احراق المكتبة الثانية التى كانت بالاسكندرية انتشرت الثقافة الاغريقية فى الشرق الأدنى وذلك لأن البلاط الفارسى رحب بالعلماء اليهود والنسطوريين الهراطقة والافلاطونيين فتوافدوا الى فارس . وترجمت الكتب العلمية الاغريقية الى اللغة السريانية ثم بعد ذلك الى العربية . ولما استتب الاسلام صارت بغداد ملتقى الدراسات الاغريقية لبطليموس وارخميدس واقليدس وابقراط وايضاً للدراسات الهندية التى عرف العرب بوساطتها الجبر هذا العلم الذى صار بعد ذلك اكبر معوان لتقدم الميكانيات فى القرن السادس عشر فى اوربا . وكانت الأزياج الهندية فى الفلك قد أدخلت فى فارس قبل تأسيس مدرسة بغداد بنحو خمسين سنة ومعها الحساب الهندى وكلاهما دخل بعد ذلك بغداد . وقد افتتحت مدرسة بغداد بترجمة المجسطى لبطليموس وهندسة اقليدس ومؤلفات ابقراط نقلها الى العربية مترجمون من اليهود . وكانت أزياج طليطلة (سنة ١٠٨٠) والأزياج الالفونسية طلائع البحث فى الفلك وأساس الملاحة مدة الاكتشافات الكبرى . ولما أخرج المسلمون من اسبانيا بقى اليهود فكانوا يختصون بالفلك فى برتغال وبالطب فى اسبانيا . وكان الطب فى ذلك الوقت يدرس باعتباره ثقافة وليس باعتباره موضوعا ولذلك فانه كان ينتظر من الطبيب أن يعرف الرياضيات

وقبل أن يخرج العرب من اسبانيا كان اليهود الاسبانيون المتعربون قد انتشروا فى اوربا يحملون معهم ترجمة العلوم الاغريقية ومؤلفات الخوارزمى وابن سينا وابن رشد . ونرى فى القرن الثانى عشر بل قبله طوائف من اليهود ينشئون فى اوربا مدارس للطب ويستعملون الكتب العربية أو المنقولة من العربية الى اللاتينية . وكان النقل أحياناً من العبرانية التى بقيت مدة ما لغة التعارف والثقافة بين الأمم . ونرى فى نهاية القرن الحادى عشر ان العالم اليهودى ابراهيم بارشيا وهو من المترجمين الذين أدخلوا الرياضة الجديدة فى اوربا يلوم اليهود الفرنسيين لأنهم يجهلون الرياضة . وفى سنة ١١٣٤ نجد كتاباً عظيما يؤلفه فى الفلك عالم يهودى يدعى ابراهيم بن حيا فى مارسليا . وفى ذلك الوقت بينما كانت جامعة اكسفورد تقرر تدريس جزء صغير من الكتاب الاول لأقليدس نجد أن علماء قرطبة وطليطلة يؤلفون الكتب فى نظرية الأعداد وفى حساب المثلثات الكروى . وفى سنة ١١٥٨ نجد رجلا يدعى ربى بن عزرا يسافر الى انجلترا ومصر وينقل الى اوربا الجبر والكسور العشرية . وفى القرن الثالث عشر نجد أسماء أخرى مثل موسى بن طبون ويوحنا هسبالنس وهم من اليهود الذين كانوا ينقلون من العربية الى اللاتينية مؤلفات اقليدس وبطليموس وارخميدس وابقراط وجالينوس

وكان جميع الناقلين من اليهود ما عدا قليلين من المسيحيين مثل ادلهارد الذى ادعى الاسلام ليتعلم فى قرطبة وليوناردو بيزو وليوناردو فيونا كى وجريجورى كريمونا

وبما قلنا آنفاً أن الفلك ارتقى عند العرب اكثر مما ارتقى عند الاغريق . ونعرف أن ريجيومونتانس الذى سبق كوبرنيكوس تعلم الفلك من مصادر عربية

وفى نفس السنة التى ظهر فيها مؤلف كوبرنيكوس فى الفلك ظهر فيها أيضاً كتاب الفه فساليوس عن « مصنع الجسم الانسانى » فكان رائداً جديداً للطب الحديث . وفى هذا الكتاب نجد أن فساليوس يعتمد كثيراً على المؤلفات العربية والعبرانية ويدعو الى التجربة والتشريح اللذين بدأ بهما الطبيب اليهودى موندينو فى بولونيا حوالى سنة ١٣٠٠ . ومدرسة بولونيا الطبية تأسست سنة ١١٥٦ والذى قام بتأسيسها يهود أسبانيون . وهذا ما حدث أيضاً فى المدرسة الطبية فى مونبليه سنة ١٢٢٨ وفى مدينة سالرنو أيضاً قبل هذا التاريخ . وفى سالرنو هذه استخدم فريدريك الثانى طائفة من العلماء اليهود فى ترجمة الكتب العربية الطبية والرياضية الى اللغة اللاتينية

وكان نقل الفلسفة الاغريقية من العربية الى اللاتينية قد بعث رجال الدين فى اوربا منذ سنة ١٣٥٠ الى البحث عن الكتب الاغريقية القديمة لكى يعتمدوا عليها فى البلاغة والجدل الدينى . وذلك لأن العرب لم يبالوا بهذه الكتب وانما كانت عنايتهم متجهة نحو درس العلوم الطبية والرياضية الاغريقية . وعلى كل حال نجد انه عند ما شرعت اوربا فى درس الاغريق القدماء كانت الثقافة العربية قد وجهتها نحو درس العلوم التى رقى بها العرب الى مستوى أعلى من مستواها السابق أيام الاغريق القدماء

ومن هنا نعرف أن أساس النهضة فى اوربا هى النزعة العلمية التى نزع اليها العرب ونقلها اليهود الى اوربا فكانت البذرة الصالحة للحضارة الصناعية الراهنة

أصل اللغات وتطورها

عن السير ريتشارد باجيت

ليس شك فى أن الصوت سبق النطق فى الانسان . فنحن اذا تأملنا الحيوان الآن ألفينا له صوتا ولكننا لا نسمع منه نطقاً . فالكلاب تنبح والبقر يخور والديكة تصيح . وهذه الأصوات تعبر عن العواطف . ولكن هذه الحيوانات لا تنطق

وهناك فرق واضح بين الصوت والنطق . فالصوت يخرج من دفع الهواء فى الرئة كما اذا قلنا « آه » ونحن نصرخ ونصيح ونتألم بالأصوات . ولكن النطق الذى نمتاز به على الحيوان يحتاج الى اللسان والشفتين . ومن هنا سداد الكلمة التى قالها داروين وهى « ان الأرجح أن أسلافنا أخرجوا الأنغام الموسيقية قبل أن يستطيعوا نطق الألفاظ »

وبعبارة أخرى نقول أن الانسان تغنى قبل أن تكلم . لأن أنغام الغناء البدائية يمكن الرئتين القيام بها أما الكلام فيحتاج الى اللسان والشفتين . أى أن الغناء سبق الكلام لأن الصوت سبق النطق . وبين الحيوان الآن ما يغنى منفرداً أو جماعة كالطيور والقردة وليس بينه ما ينطق

والمسألة الحاضرة تنحصر فى النطق كيف نشأ فنشأت منه اللغات . ولتعليل ذلك يجب أن نتخيل الانسان قبل مليون سنة وهو أخرس لا ينطق ولكنه يستطيع بأصوات مختلفة تندفع من رئتيه أن يصيح ويصرخ ويتأوه . ففى ذلك الزمن كان يتفاهم كما يتفاهم الخرس الآن باشارة اليد والرأس وحركات الجسم المختلفة . فاذا أراد أن يخبر رفيقاً له برغبته فى الصيد مثلا عمد الى جسمه وأطرافه فحركها حركات تشبه ما يفعله الصائد يحكى أفعاله كلها أو ما يقدر على محاكاته منها فيدرك هذا الرفيق غرضه . واذا أراد أن يخبره برغبته فى الطعام فتح فمه وأقفله مرات كأنه يأكل شيئاً . وهلم جرا

ويمكن التفاهم الى حد كبير بهذه الاشارات والحركات التى تحكى الفعل نفسه . ولكن لها عقبات كما اذا أراد الانسان أن يتفاهم فى الظلام أو عند ما تكون يداه مشغولتين بشىء تحملانه . وهنا لا تنفع هذه الاشارات أو الحركات

وهنا يجب أن نعود الى داروين لنجد الحل لهذه العقبات . فمن المعروف اننا ونحن نعمل شيئاً ما بيدينا نحرك ألسنتنا وشفاهنا حركات تشبه هذه الحركات التى نعملها بأيدينا . ولذلك فالاشخاص الذين يقصون شيئاً بالمقص نراهم أحياناً وهم يحركون فكيهم بحركات شفرتى المقص .

ثم ان الأطفال وهم يتعلمون الخط فى أول أمرهم يلوون لسانهم ويطوونه على حركات أصابعهم فى الكتابة .

وهذه طبيعة فينا لا ننكرها ومنها نشأ النطق أو صار الصوت الغشيم نطقاً مفهوماً . فقد كنا قبل أن نتكلم نستطيع كما يفعل الكلب أو الثور أو القرد أن نصيح بأصوات تخرج من الرئة . ثم كنا نحرك السنتنا وشفاهنا حركات تشبه أو تحكى حركات اليد كما يحرك الطفل لسانه وهو يكتب

فلنفرض أن انساناً من جدودنا القدماء جداً وقف منذ مليون سنة فى ظرف قاهر يريد أن يخبر رفيقه بشىء يخافه ويحذره اياه . فأول ما يفعل انه يحكى أو يقلد الحركات التى توضح هذا الشىء الذى يخافه . ولكن لنفرض انه يحمل شيئاً كالسلاح الذى لا يمكنه أن يطرحه وهو فى هذا المأزق أو انه كان فى ظلام لا يمكن رفيقه أن يتبين حركاته . فماذا يحدث ؟

يحدث انه يحرك لسانه وشفتيه بحركات تحكى حركات اليد أو الجسم ثم ان الخوف يدفعه الى أن يخرج صوتاً كالتأوه أو الأنين من رئتيه . فهنا الصوت باقفال الشفتين وفتحهما وتحريك اللسان يختلف ويصير اختلافه هذا مميزاً لكلمات ينطق بها . واذا تكرر ذلك توضحت الكلمات وصارت لها معان مفهومة . ويجب أن نعرف أن اللغات نشأت غمغمة وهمهمة احتاجت الى وقت طويل حتى صارت كلاماً مفهوماً

ولزيادة الايضاح نفرض أن رجلا أراد أن يشير الى الطريدة المختبئة وهو يحمل السلاح فى يديه فلا يمكنه أن يشير بهما . فالوسيلة الوحيدة التى امامه أن يزم شفتيه ويجعل منهما مخروطاً يشبه اشارة اليد نحو هذه الطريدة . فاذا أراد أن يقول « فوق » رفع شفته السفلى واذا أراد أن يقول « تحت » خفض هذه الشفة . وهذه لغة الأخرس التى يمكنه أن يتفاهم بها مع أى انسان من أية أمة لا تعرف لغة الامة التى ينتسب اليها . ونحن أنفسنا نستطيع أن نفهم الأخرس بهذه الحركات . ولكن لنفرض أن ذلك الرجل كان فى ظلام ويريد أن يؤدى هذه المعانى فهو يعرف هنا أن الاشارات لا تكفى ولذلك فانه يزيدها بياناً باخراج صوت من رئتيه . وهذا الصوت يتخذ نغمة خاصة عند زم الشفتين أو توجيه الشفة السفلى الى أعلى أو الى أسفل وبهذه الوسيلة تخترع الكلمات

ولكن اذا كانت هذه النظرية صحيحة كان يجب أن تتفق الامم جميعاً فى هذه الكلمات وتتكلم لغة واحدة . وهذا هو ما يبدو لنا لأول وهلة . ولكن الواقع انه يمكن أن تخرج جملة أصوات مختلفة من حركات متشابهة فى اللسان والفم . ومن هنا وجود المترادفات فى اللغات . على اننا ما زلنا نرى فى وحدة الأصول التى تألفت منها اللغات مصداقاً لهذه النظرية . ولنرجع الى مثالنا الذى ذكرناه وهو لفظة فوق التى يقابلها بالانجليزية up وبالفرنسية haut . فهذه الألفاظ الثلاثة تحتاج الى رفع الشفة

السفلى الى أعلى وان اختلفت حروفها . ولفظة تحت يقابلها بالانجليزية down و بالفرنسية bas وكلها تحتاج الى خفض الشفة السفلى وان اختلفت حروفها

و بعبارة أخرى نقول أن الانسان الأول عبر عن معنى الارتفاع بما يشبه أى برفع يده مثلا. ولكن عند ما تكون هذه مشغولة بشيء ما كان يرفع شفته السفلى . فاذا كان فى ظلام رفع شفته السفلى ولكنه أخرج صوتاً صار كلمة لمعنى الارتفاع . وقام بعكس ذلك عند ما أراد أن يعبر عن معنى الانخفاض

وانما اختلفت الالفاظ فى اللغات لأن الأخرس نفسه يمكنه أن يعبر بجملة حركات واشارات عن معنى واحد . ولكل من هذه الحركات أو الاشارات تقليد أو محاكاة فى اللسان والفم

وقد استطاع وندت الالمانى سنة ١٩٠٤ أن يثبت أن الألفاظ التى تدل على الأكل والشرب والذوق والبلع والبوس هى تقليد أو محاكاة لهذه الأعمال نفسها . فنحن عند ما نقول « يبلع » نحرك الفم واللسان واللهاة بما يشبه عمل البلع نفسه . وحركة التقبيل واضحة فى كلمة « بوس » ونتطق بلفظة « الذوق » كأننا نتمصص شيئاً نذوقه . ونتطق بكلمة « اكل » كأننا نؤدى عمل الأكل بانطباق الفكين وانفراجهما . ولفظة « الشرب » تدلنا على ان أسلافنا كانوا يشربون بصوت مسموع كما نرى الفلاحين يشربون الآن

ومما يزيدنا بصيرة فى هذا الموضوع و يجعلنا نفهم تماماً أن ألفاظنا هى حركات لتقليد الأعمال أو محاكاتها أن الأصم يمكنه أن يراقب وجوهنا ونحن نتكلم فيدرك من حركات الفم بعينيه ما لا يمكنه أن يسمعه باذنيه لأنه يرى فيها تقليداً أى محاكاة للاعمال وأخيراً نقول أن الأرقام الأولية تدل على أن الأصوات الأولى فى اللغات كانت مشتركة مثل واحد واثنين وثلاثة فانها فى جميع اللغات تحتاج الى حركة متشابهة من الفم واللسان

وخلاصة القول أن الصوت سبق النطق . وأن من طبيعة الانسان أو الطفل أن يقلد بلسانه وفمه ما يعمله بيده . ولذلك فانه كان فى الأصل يعبر بيديه ولكن عند اشتغال يديه صار يعبر بحركات فمه ووجهه . وفى وقت الظلام اضطر الى اخراج أصوات تتخذ صوراً مختلفة باختلاف حركات الفم واللسان . ومن هنا نشأت الالفاظ واللغة

اوربا والخمور

كيف تحاول الدول الاوروبية منعها أو اقلاسها ؟

يعرف القراء أن الولايات المتحدة منعت الخمور صناعة وتجارة ولا يمكن شراؤها الآن إلا من الصيدليات باذن الطبيب . وقد اختلفت الآراء فى حكمة هذا المنع هل هو مفيد أو مضر . فالقائلون بفائدته يقدمون احصاءات عن الرخاء الذى عم البلاد لأن جهود العمال اتجهت نحو الادخار والكسب وشراء الكماليات المنزلية بعد أن كان مدخرهم يذهب فى ثمن الخمور . والقائلون بضرره يقولون بأن الخمر القليلة لاتؤذى الناس بل تزيد سرورهم والأرجح أيضاً أنها تزيد أعمارهم . ثم أن المنع البات قد أحدث تجارة جديدة هى تجارة التهريب والبيع مخالسة ومخالفة القوانين . ومتى خولف القانون فى شىء واحد يتسامح فيه الجمهور كما هو الحال فى تهريب الخمور خولف أيضا فى أشياء أخرى . ولذلك فان من المرجح أن يكون لقانون المنع علاقة بزيادة الجرائم فى الولايات المتحدة

وفى أوربا الآن خمس أمم حاولت منع الخمور أو الاقلال منها . ولكن هناك فرقا فى البواعث التى بعثت على المنع . ففى الولايات المتحدة يعزى هذا المنع الى وعظ القسوس فى الكنائس ومقالاتهم فى الصحف فى الحض على الكراهة للخمور . والنزعة الغالبة فى الولايات المتحدة هى نزعة الطهريين تلك الطائفة التى فشا مذهبها أيام كرومويل . وهؤلاء الطهريون كانوا يتقشفون ويكرهون الترف والخمر وهم الذين قاموا بالثورة وكانوا السبب فى قتل تشارلس الأول لخيانته للدستور ثم هم الذين هاجروا الى الولايات المتحده وما تزال مبادئهم الدينية حية فى الكنائس حيث اتجهت جهودهم بمنع الخمور . والطهريين بالنسبة الى المسيحيين كالوهابيين بالنسبة الى المسلمين

أما فى أوربا فالباعث على المنع أو التقييد فى تناول الخمور هو باعث اقتصادى . وذلك أنه عندما نشبت الحرب الكبرى وعاثت الغواصات الالمانية فى البحار وعرقلت الملاحة قلت الواردات من الحبوب على الاقطار الاوروبية . فاحتاجت الأمم الاوروبية الى أن تصون الحبوب للخبز وتمنع تخميرها للخمر أو تنقص الكمية التى يراد تخميرها حتى يتوافر الطعام للناس . وكانت المانيا أولى الدول التى شرعت فى ذلك وكانت بلجيكا أول ميدان جربت فيه المانيا هذه التجربة فانها قيدت صنع الخمور ادخاراً للحبوب وتوقياً لانغماس جنودها المحتلة . فلما جلا الالمان عن بلجيكا وجد البلجيكيون أنهم انتفعوا بهذا التقييد فاستمروا فيه بعد تنقيح . وكانت الدول الاخرى المتحاربة تسلك نحو هذا المسلك أيضاً ومن القراء من يذكر أن بريطانيا قيدت بيع الخمور فى مصر وعينت لها مواعيد وذلك محافظة على صحة جنودها

فلما انتهت الحرب الكبرى كانت الافكار قد تهيأت للتقييد ان لم يكن للمنع . ونحن فيما يلي نذكر بعض الأنظمة التي تتبعها كل هذه الدول الخمس التي ذكرناها آنفاً . وهذه الدول هي أسوج ونروج ودنمركا وفنلندا وبلجيكا . وكلها تجيز بيع الخمور بقيود الافنلندا فانها تمنعها بتاتا فما عدا الجعة المخففة التي لايمكن أن تسكر أحداً

اسوج

والطريقة المتبعة في أسوج تنحصر في جعل بيع الخمور وقفاً على شركة تحتكره بيعاً وصناعةوتوريداً وهي لا تبيع خمورها للتجار وانما تبيعها للشاربين في (١) مطاعم وحانات خاصة لها منتشرة في أنحاء البلاد وفي (٢) حوانيت لها خاصة ببيع الخمور فقط . وفي (٣) الفنادق والمطاعم والقهوات التي لاتملكها الشركة وتشترط عندئذ منع اعطاء الخمر لأحد مالم يأكل غداءه أو عشاءه حيث يتناول الخمر

والأسوجي الذي يرغب في شراء قناني الخمر لمنزله من الحوانيت التي تملكها الشركة يجب أن يخرج « جوازاً » وهذا الجواز يثبت أنه حسن السلوك . فاذا سكر مرة وثبت عليه السكر ختم الجواز بختم يدل على ذلك فلا يمكنه أن يشتري خمراً إلا بعد انقضاء مدة طويلة . ثم أن الخمور تباع من هذه الحوانيت بنظام يشبه جراية البترول والسكر أيام الحرب أي أنه لا يمكنه أن يأخذ إلا مقداراً معيناً لا يتجاوزه طول الشهر . وأعظم مقدار يمكن الانسان أن يشتريه لمنزله من الخمر في الشهر هو أربعة ألتار . ويجب على مشتري الخمر أن يكون فوق الحادية والعشرين

وهذه الشروط القاسية يعمل بها في الخمور القوية مثل الوسكي أو الكنياك . أما الخور المخففة كالجعة والنبيذ فلها شروط خفيفة . ويمكن أن يقال على وجه الاجمال أن الأسوجي يمكنه أن يشرب ما شاء من البيرة أو النبيذ ما دام لم يثبت عليه أنه سكر . أما اذا ثبت ذلك عليه فلا يمكنه تناولها الا بقيود

والفنادق والمطاعم والقهوات التي لا تملكها الشركة يمكنها أن تبيع الخور لزبائنها . ولكن اذا زاد المقدار الذي تطلبه عما عينته الشركة فانها تضطر أن تبيعه بنفس الثمن الذي اشترته به وبذلك لكي لا يكون لها مصلحة في الاتجار بالخور

وأرباح الشركة التي توزع على مساهميها لا تزيد عن خمسة في المائة وما زاد يعطى للحكومة لقضاء الدين الوطني

دنمركا

ليس في دنمركا قيود لبيع الخور وانما هناك ما يقوم مقام القيود وهو فرض ضرائب باهظة جداً على الخمر . فيمكن المصري في القاهرة أن يسكر بعشرين أو ثلاثين مليما ولكن الدنمركي يحتاج الى ما يقرب من نصف جنيه لكي يسكر من الخور التي تباع في بلاده

والضرائب يقع معظم عبئها على الخمور القوية التي تحتوى على كميـــة كبيرة من الكئول . وقد حققت دنمركا غرضها من انقاص الخمور بدون أن تحنت السكان بالمنع أو التقييد . وقد اقتادت دنمركا الى هذه النتيجة على الرغم منها . فانها مدة الحرب الكبرى شعرت بالحاجة الى الخبز فمنعت صنع الخمور منعاً باتاً . وبقى هذا المنع شهراً واحداً ثم أجازت صنعها بضرائب فادحة . فقنينة الوسكى التي تصنع في دنمركا وتباع للجمهور يجب أن يدفع عنها للحكومة ٢٧ قرشاً . والقنينة تحتوى على ثلاثة أرباع اللتر . وقنانى الكنياك والوسكى التي تستورد من الخارج يفرض على كل منها ضريبة جمركية قدرها ٢٩ قرشاً والنبيذ القوىّ يدفع عن كل قنينة منه في الجمرك ٢٢ قرشاً . والثمن المعتاد الآن لقنينة الوسكى هو ٨٠ قرشاً وقد كان قبل الحرب ١٦ قرشاً فقط .

وقد نتج من ذلك أن شرب الخمور نقص نقصاً كبيراً دون ان يتذمر أحد . فقد كان المستهلك منها قبل الحرب ١٢،٠٠٠،٠٠٠ لتر فصار الآن ٢،٠٠٠،٠٠٠ لتر فقط . والناس مع ذلك أحرار يستطيعون ان يسكروا اذا سخت نفوسهم بدفع الثمن

فنلندا

فنلندا هى الدولة الاوربية الوحيدة التي تمنع بيع الخمور أو صنعها ما عدا الجعة المخففة . ولكنها على الرغم من هذا المنع هى أكثر الامم الاوربية تناولا للخمور وذلك لسببين أن الناس يكرهون هذا المنع ويقاومونه فالجمهور يتسامح ولا يساعد الحكومة على ضبط المهربين . لحاله في ذلك تشبه حال الجمهور الامريكى . ولا فائدة من قوانين لا يوافق عليها الجمهور . ثم أنه يقوم بحذاء سواحل فنلندا في بحر البلطيق أكثر من ٣٠٠٠ جزيرة صغيرة بعضها كبير يسع المدينة وبعضها صغير لا يسع أكثر من بضع أشجار . وفى هذه الجزر يجد المهربون من الالمان والفنلنديين مجالا متسعاً للتهريب فان الزوارق تسير في الليل وتخفى الخمور في احدى الجزر فلا يمكن الحكومة الفنلندية أن تهتدى اليها . ولذلك فان الخمور كثيرة رخيصة في جميع أنحاء فنلندا على الرغم من المنع . ويقال أن واردات فنلندا من الاوتوموبيلات قد كثرت في هذه السنين الاخيرة لأن تجار الخمور يحتاجون اليها في التهريب . وقد ضبطت حكومة فنلندا في سنة ١٩٢٧ ٧٥٠،٠٠٠ لتر من الخمر ولكن هذا المقدار لا يبلغ ١٠ أو ١٥ في المائة مما يباع في البلاد . وقد كانت فنلندا أيام الترخيص ببيع الخمور مشهورة بالاعتدال ولكنها بعد المنع كثرت المخالفات حتى بلغت ٨٧،٠٠٠ مخالفة للسكر والعربدة في العام الأسبق . وتعليل ذلك أن الخمر المهربة تحتوى دائما على مقدار كبير من الكئول حتى يقوم القليل منها مقام الكثير في الحمل والتخبئة والتهريب ولذلك فان معتاد الشراب لا يجد الشراب الخفيف السابق فيشرب خموراً قوية

نروج

لما انتهت الحرب الكبرى استفتت الحكومة الامة في مسألة الخمر هل تمنع أم يجاز بيعها . فاجابت

الأمة بالمنع بكثرة عظيمة . وبقيت نروج فى هذا المنع مدة غير قصيرة مثل الولايات المتحدة ولكنها الآن رجعت عنه وأجازت الخمور . ولا يمكن أن يقال أنها رجعت الى الخمر اعترافا بفائدتها لأن الحقيقة انه قامت مصاعب اقتصادية اضطرت الحكومة النروجية الى الرجوع عن خطتها وذلك أن فرنسا واسبانيا وبرتغال كل هذه الدول تصدر الأنبذة والخمور الى نروج وتستصدر منها السمك المملح . فلما منعت الخمور من نروج عمدت هذه الدول الى مقابلة المثل بالمثل فمنعت أيضاً توريد السمك المملح فشعر النروجيون بضائقة كبيرة لأن كثيرين من سكانها يعيشون بصيد السمك وتمليحه وأخيراً عادت نروج فاجازت دخول الخمر وصنعها كما أجازت هذه الدول دخول السمك المملح الى بلادها

وقد عادت نروج الى استفتاء الاهالى سنة ١٩٢٦ فكانت النتيجة أن القائلين باجازة البيع كسبوا المعركة وكانت أصواتهم ٥٣٠,٠٠٠ ضد ٤٢٠,٠٠٠ يقولون بالمنع . ولكن نروج لم ترجع الى اطلاق الحرية اطلاقاً تاماً فانها قيدت البيع بمواعيد وشروط تقلل من تعاطى الخمر

بلجيكا

لا يمكن الانسان أن يتناول الخمر فى بلجيكا فى فندق أو مطعم أو قهوة باستثناء النبيذ والجعة . أما الذين يرغبون فى شراء خمور أخرى كالكنياك والوسكى فيجب أن يشتروها من الحانات الخاصة بالبيع ويشربونها فى بيوتهم . والمخالفات يعاقب عليها بسرعة وبشدة

ويرجع هذا النظام الى قوانين الألمان الخاصة بمنع الخمور التى أوجدوها مدة احتلالهم لبلجيكا صيانة لجنودهم . والبلجيكيون لا يعارضون فى هذا النظام وقد ثبت انه انقص تناول الخمور كثيراً لأن الرجل الذى يشترى الخمر ويقصد بها الى بيته يحاط بأسرته فلا يشرب الا مع الاعتدال وعين زوجته أو أولاده تراقبه

الشيطان

قصة مصرية بقلم الاستاذ محمود تيمور

١

حدثنى صديقى قائلا :

كنت أسكن ضاحية المطرية منذ خمسة عشر عاماً . وكنت مستأجراً منزلا صغيراً متواضعاً فى شارع « المسلة » أعيش فيه مع والدتى وخادمتنا العجوز . وكنت أشغل فى ذلك الوقت وظيفة مدرس بمدرسة (س) الابتدائية فى العاصمة . ولم تكن حياتى تخلو من ملل وتعب اذ كان عملى المدرسى المرهق يشغل كل نهارى ، فأعود الى المطرية بقطار المساء وأنا مهموم ضيق الخلق . وكنت أجد سلوتى بالتنزه فى الغيطان قبل العشاء وبعده . ولم أكن أعرف من سكان الجهة الا بعض الجيران والمعارف العاديين ، من يضطر الانسان الى التعرف اليهم بحكم الظروف ، ومن لم تكن تربطنى بهم غير رابطة السلام والاحاديث القصيرة الرسمية . ولكن لم يمض على وجودى فى هذه البلدة الصغيرة غير بضعة أشهر حتى تعرفت بشيخ جليل يدعى الشيخ موافى ، كان استاذاً للغة العربية فى المدارس الابتدائية الأميرية ، وأحيل على المعاش ، رجل بقامة طويلة ولحية مهيبة ومشية رزينة تشبه مشية السلاطين . يتكلم بلهجة متزنة هادئة كأنه إمام يعظ الناس من فوق منبر الصلاة . يلوح على وجهه دائماً أمارات الطيبة والصلاح . و بالاختصار فكل ما فيه كان يثير اعجابى واحترامى . وتوثقت بيننا الصداقة فى فترة قصيرة من الزمن إذ وجد كل منا فى صاحبه ، الصديق الذى يتفق واياه عقلا ومشرباً . وكان يسكن منزلا ريفياً قديماً ، قائماً وسط الغيطان و بعيداً عن العمران ، كنت أقطع المسافة اليه من منزلى فى نصف ساعة تقريباً . يحيط بهذا المنزل شبه حديقة استأجرها صديقى من صاحب الغيط المجاور ليزرع فيها بعض الخضراوات . وكان يعجبنى من هذه الحديقة المتواضعة مظهرها الريفى الخالى من كل تنميق أو صنعة . وكانت جلستنا دائماً بجوار القناة الرئيسية فى موضع — تظلله شجرة هرمة — اختاره الشيخ موافى للصلاة فأحاطه بسور قصير من الطين وفرشه بالقش والسمار . هناك كنا نتبادل أحاديثنا الهادئة عن الدين واللغة والأدب والتاريخ . أو نقرأ فى بعض الكتب المشهورة مثل الأغانى وابن الأثير والكامل . وكنت أحب هذه الجلسات وانتظر بفارغ صبر خلوى من العمل لأستمتع بها من جديد . وكان الشيخ متفقهاً فى اللغة والأدب على وجه خاص ولكنه كان كثير الخرافات فى معتقداته الدينية

ولصديقى ابنة فى الثانية أو الثالثة عشر من عمرها – هى كل عائلته – تقاسمه الحياة وتقوم له بكافة أعماله المنزلية. شاهدتها مرات قليلة وأنا أتناول الطعام على مائدته، إذ كانت تقوم على خدمتنا اثناء الاكل. فتاة متوسطة القامة، عادية الملامح واللون، خالية من كل رشاقة وزينة. لا يميزها إلا شيئان. يشاهدان دائماً عند كل فتاة فى سنها: دنوها من النضوج الجثمانى والتفتح الجنسى. تدل حركاتها الغشيمة وما ينبعث من هيئتها من مظاهر الجبن والاضطراب على ما تعانيه من حياة كلها قسوة واستعباد. يعاملها أبوها معاملة شاذة لا تتفق وطيبة قلبه. فلا يرحمها بنظراته النارية ولا يكلمها إلا بألفاظ خشنة مقرونة دائماً بالشتائم. واذا أتت بهفوة حاسبها عليها حساباً كبيراً. وكان يفسر لى سبب تلك المعاملة الغريبة بقوله: «أن الفتاة فى هذه السن تجتاز دوراً خطراً من أدوار حياتها فاذا عاملناها بالحسنى وأطلقنا لها حريتها ظنت ذلك ضعفاً وتهاوناً منا فاندفعت بلا حساب فى طريق الغواية. أما اذا شكمناها وفرضنا عليها كامل سيطرتنا شبت خاضعة لقوانين الشرف والعفاف»

وكان يساعد الشيخ فى زراعة حديقته فتى فلاح يسمى عزازى، له سمرة الاسوانيين. لا يستر جسمه الصلب المديد غير جلباب قصير يظهر منه صدره الأسحم العريض ورجلاه الموحلتان

وسارت الحياة على هذا المنوال فترة من الزمن، نسترى، أنا وصديقى، ساعات مسامراتنا الحلوة على أحب وأشهى ما نريد

٢

ولكن لعظم دهشتى لاحظت تغيراً طرأ على حالة صديقى، بدأ طفيفاً ثم أخذ يتزايد ويتفاقم أمره على توالى الأيام. فكانت صدمة لى تكدت على أشهى ساعات حياتى. فكم من مرة رأيته يصمت واجماً، ثم يتنبه منزعجاً على أثر رجفة عنيفة فجائية. واكتسى وجهه بطبقة صفراء داكنة تحمل عبوسة اليأس وعذاب النفس فى كل ناحية من نواحيها. واختفت لمعة النشاط والحياة من عينيه وحل عليها كد الموت فى أقسى مظاهره. فكنت أشاهده على هذا الحال، وأنا متحسر مندهش وأناجى نفسى بقول: «ما خطب الرجل يا ترى. هل حلت به رزيئة فى ماله أو فى عائلته أم نكب فى صحته...؟!»

ومن الغريب أنه كان يحاول دائماً – على غير جدوى منه – اخفاء حالته عنى، فكان يثير كامن شفقتى بهذه المحاولات السخيفة المفتعلة. ومع ما كنت أشعر به من تحرق لمعرفة سره كتمت فضولى عنه، محترماً ارادته الخفية

ومرة احتد معى فى مناقشة بسيطة احتداداً شديداً فرأيته قد تنمر على خلاف عادته وهب واقفاً يرتجف وعيناه ترجانى بجذواتهما المستعرة. وأخذ يسبنى بلا حساب. ثم تناول هراوة ضخمة

وقذف بها على ـ من غير أن يصيبني ... وكانت مباغتة أجفلتني وصعقتني . ما هذا الانقلاب المدهش . هل هذا هو الشيخ موافى صديقي الحميم ، مثال الطيبة والوداعة

ولما أفقت من دهشتي وجدت الشيخ يرغى و يزبد و يلوح بيديه مهدداً وهو يدور حول المصلى كالثور الهائج . فقفزت من مجلسي هارباً وخرجت أعدو فى الطريق العام وأنا التفت خلفي بين فترة وأخرى خشية أن يكون الشيخ متعقباً أثرى . وما شككت لحظة فى أن الرجل اصيب بنوبة جنونية حادة على حين بغتة ، ربما أوصلته الى المارستان عن قريب . وفكرت فى أن أخطر رجال الأمن عن حالته

وفى أصيل اليوم التالى عند ما كنت عائداً من المحطة ويمما صوب منزلى ، بعد انتهاء عملى المدرسي فى العاصمة ، وجدت الشيخ موافى فى الطريق منتظراً قدومى . فأزعجت وحاولت الهروب منه . ولكنه لحق بى وأمسك يدى وضغطها بمودة واستغفار ، والدمع يترقرق فى عينيه . وقال متلعثماً بانفعال :

ـ لقد قضيت اليوم كله وأنا مترقب عودتك ... صديقى ... ماذا أقول لك ... هل يمكنى أن أطمع فى عفوك بعد الذى صدر منى فى حقك أمس ... ان شئت فاضربنى . اصفعنى على وجهى افعل ما تشاء ولكن لا تكن حاقداً على

وهبط على يدى يريد أن يقبلها . ولكنى سحبتها سريعاً من بين يديه ولاطفته بمودة ، وأنا مغمور بدهشة عظيمة ، وقلت له :

ـ ما هذا الكلام يا صديقى . هل يخطر فى فكرك أنى أحقد عليك من أجل مسألة تافهة كالتى وقعت بيننا أمس

وكان الرجل يرتجف ويتصبب عرقاً ، يلتفت منزعجاً حوله وصدره يعلو ويهبط فى حركة شاذة فما شككت لحظة فى أنه مريض . وأخذت أطيب خاطره بكل جهدى . وقدته الى منزلى وأنا أقول له :

ـ هل لك فى فنجان من القهوة يا صديقى ؟

فأجابنى بصوت ضعيف وقد بدت تظهر على محياه أمارات الهدوء والاطمئنان :

ـ بكل سرور ... أصدق أننى لم أذق طعاماً منذ ليلة امس

اذن يمكنى أن أقدم لك شيئاً

فأبى باشارة امتناع ضعيفة . وأخرج من عبه منديله وأخذ يمسح به رأســـه ويروح به على وجهه . وكنا قد دخلنا المنزل فأوصلته الى منظرة الضيوف . وأسرعت الى والدتى لأخبرها بتجهيز القهوة والطعام له . وبعد قليل جاءت خادمى العجوز تحمل الصينية ووضعتها امام صديقى . وما كادت تفعل حتى انهال الرجل على الأكل يلتهمه بشره عجيب . كأنه لم يتذوق طعاماً منذ اسبوع . ثم تناول القهوة فكرعها كما يكرع السكير الخمر . وبعد ذلك مسح فمه وأتى بحركة تدل على الرضى



وحمد الله طويلا ثم أخذ يحدثني في هدوء حديثــه القديم الذي عودني اياه . وأمضينا سهرة حلوة لا تختلف عن سهراتنا السالفة . ولما انتهت الزيارة خرجت معه الى الشارع . فأمسك يدي وهزها طويلا . ثم رأيت شفتيه تتحركان حركات غامضة : كأنهما تريدان الافضاء إلى بسر هام . ولكنه ما عتم أن زمهما بشدة ليمنعهما عن الكلام . وأسرع الخطا هارباً . . !

وفي مساء اليوم التالي رأيت من واجبي أن أذهب اليه لأوكد له صفاء قلبي من ناحيته . فقابلني بترحاب كبير وجلسنا جلستنا المعهودة في المصلى وسميرنا كتاب الاغاني . وكان صديقي يقرأ لي على ضوء مصباح ضعيف قراءة دلتني على شرود فكره . وبغتة أطبق الكتاب وحلق في وجهي قائلا:

ــ ما رأيك في الجن ، يا مجدى افندى ؟

فنظرت اليه مدهوشاً إذ كان موضوعنا الذي كنا نقرأه في كتاب الأغاني لا يمت بأي صلة للجن . ولما طال سكوتي أعاد سؤاله على صورة أخرى قائلا :

ــ ألا تعتقد في وجود الجن ؟

فأجبته على الأثر:

ــ الجن !! . . كلام فارغ ياشيخ

ــ ولكن الله ذكرهم في القرآن

ــ هذا صحيح . ولكنه قال ــ على حسب ما أذكر ــ أنهم يعيشون بعيدين عنا ، لا نراهم ولا يروننا

فرأيت وجهه قد احتقن وأجابني محتداً :

ــ هذا غير صحيح . . غير صحيح . . . عندي برهان قاطع يثبت أنهم يعيشون بيننا . . وأنهم قد . . .

ولكنه ملك زمام عواطفه الجامحة ولم يتم قوله . بل اقتصر على التمتمة ببعض كلمات مبهمة . ورأيته يضع الكتاب جانباً ويسند جبهته بيده ، وقد اكفهر وجهه . فقلت له في رفق :

ــ يظهر أنك تعب هذه الليلة يا صديقي . ألا تسمح لي بالذهاب . . يجب أن تنام مبكراً .

فأجابني وهو ينظر الى الأفق نظرة تائهة :

ــ اني مريض . . أشعر بدوار خفيف

فقمت مسلماً وخرجت من فوري وأنا مشفق على حاله . وبعد أن قطعت مسافة غير قصيرة من الطريق تنبهت الى أن عصاي ليست معي . واني قد نسيتها في المصلى . فاحترت في أمري وهل أعود لآخذها أم أتركها للغد . ولكني فضلت العودة في الحال إذ لم أ ن متعوداً السير ليلا في هذا الطريق المقفر بدون عصا . وعدت ادراجي الى المصلى وأخذت العصا وخرجت . ولكني ما كدت أسير بضع خطوات في الطريق حتى طرق سمعي صوت أنين ضعيف تبعه صوت أجش خافت في

لهجته شيء من التهديد . فتوقفت عن المسير وانصت باهتمام لا يخلو من خوف . فتكرر الأنين والتهديد فى خفوت يكاد يكون غير مسموع هذه المرة . والتفت حولى وأنا مرهف الأذن لأتبين مصدر الصوت ونوعه . أهو صادر من المنزل أم من الغيطان . أهو صوت آدمى أم صوت حيوان . إم هو حفيف الأشجار وصفير الرياح . . . وخطر فى بالى فى هذه اللحظة خاطر غريب أوقع الرعب فى قلبى . فناجيت نفسى قائلا : « أم هو صوت الشياطين السائبة فى الليل ؟ » وكان غير بعيد عنى ساقية مهجورة طالما روى لى عنها الفتى الفلاح عزازى — بستانى صديقى الشيخ موافى — حكايات مخيفة كنت أقابلها دائماً بالسخرية . ولكننى فى هذه اللحظة لم اجرأ على الهزء بها ، وقد أخذت حوادثها تمر — بالرغم منى — على صحيفة مخيلتى . متمردة مخيفة . والتفت بحركة ميكانيكية — لم يكن فى استطاعتى منعها — ناحية الساقية فرأيت جذع الشجرة المقطوع قد استطال وتفرع ، وتبينت فيه شبحاً غامضاً يومىء إلى ويضحك . فحولت نظرى عنه بسرعة وقفزت أعدو فى الطريق كالطريدة المذعورة ، وضحكات الشيطان تتبعنى . وظللت على هذا الحال أجرى ، غير ملتفت يمنة ولا يسرة ، حتى وصلت دارى . فدخلته وأنا ألهث من شدة التعب وارتميت من فورى على أول مقعد صادفنى

٣

وقطعت زياراتى عن صديقى الشيخ بضعة أيام . فجاء يسأل عن سبب غيبتى . فاعتذرت له بالمرض . وأمضينا معا السهرة فى منظرتى . وبينما كنا نتسامر مسامراتنا الأدبية نظرت الى الشيخ وقلت له فى شيء من الدعابة المتكلفة :

— يظهر ان نظريتك الخاصة بالجن صحيحة !

فاهتز على مقعده مرتجفاً . ورأيت أعصاب وجهه تلعب وعينيه ترمشان بسرعة وقال لى منفعلا:

— أحقاً ما تقول ؟

فتضاحكت متظاهراً بعدم الاهتمام . وقلت :

— حادثة تافهة وقعت لى منذ أيام . .

فدنا منى وضغط يدى بشدة وطلب منى فى لهفة والحاح أن أروى له حادثتى . فاضطررت أن أرويها له فى شيء من التحوير بعد أن غيرت زمانها ومكانها . وما كدت أتمها حتى قفز من مكانه وأمسك كتفي بكلتا يديه وجعل يهزهما قائلا بصوت عال مفزع :

— أقسم بالله أنك قد رأيت الشيطان

فارتجفت رعباً . وبعد أن أجلسته بجانبى سألته بصوت خافت قائلا :

— وأنت . . هل رأيته ؟

فصمت برهة وعيناه القلقتان تشعان نوراً غريباً . وأخيراً أجابني قائلا :

— لم أره حتى الآن . . . ولكنني سأراه عن قريب

ثم تحرك باضطراب على مقعده وأتم قوله :

— أشعر بوجوده . . وقد سمعت صوته مراراً . . . ثق بأني سوف أراه عن قريب عند ما ينطلق أمامي خارجا من سجنه

فسألته مندهشاً :

— وهل هو مسجون ؟

— مسجون طبعاً مسجون و . . .

ونهض واقفاً بحركة عصبية قبل أن يتم جملته . ثم مد الى يده وقال فى عجلة واضطراب :

— يجب أن أتركك . ان موعد نومي قد حل

فلم أشأ أن أثقل عليه بأسئلتي . وخرجت معه حتى باب الدار

وتكررت زيارة الشيخ لى كل ليلة تقريباً . فكنا نمضي السهرة فى منظرتي بين حديث عن الأدب أو مطالعة فى كتبه . وقد تحاشينا فى كلامنا ذكر الشيطان . ولكننا لم نكن كسالف عهدنا فى بهجة واطمئنان وان كنا نتظاهر فى كلفة عقوتة بمظاهر كاذبة لا تخفى وذلك القلق المستحوذ على نفوسنا . كان ينقصنا نوع من الاخلاص نتبادله . وأضحت جلساتنا مملة فيكثر فيها من التثاؤب والوجوم ، وصرنا نحارب الخمول المستولى علينا بشرب القهوة بلا حساب

ومرة بينما كنت أوصل الشيخ موافى لباب الدار ، بعد انتهاء سهرته عندى ، رأيته قد توقف عن المسير والتفت الي وقد امتقع لونه وارتعشت عضلات وجهه . وقال :

— اسمع يا مجدى افندى . . . عندى سر أريد أن أخبرك به . . سر كبير يعذبني عذاباً اليما

ولم يكد يتم جملته حتى خنقته العبرات . وارتمى على صدرى ينشج كالأطفال . فشعرت كأن قلبي يتمزق . ولاطفت الرجل قائلا :

— فلنعد الى المنظرة يا صديقى لتستريح قليلا ولتشرب كوبا من الماء

فرفع رأسه من على صدرى وجفف دموعه وهو يقول :

— كلا . كلا . لا أستطيع . تعال زرنى غداً فأفضى اليك بسر آلامى

ثم سلم على بعجلة وخرج مهرولا

وفى مساء اليوم التالى ذهبت اليه . فما كاد يرانى حتى قام إلى مسلماً ومرحباً وأدخلنى الدار معه وجلسنا فى منظرة الضيوف التى تقضى فيها عادة سهرات الشتاء . واحضر صديقى كتابه وأخـذ يقرأ لى ، والعجب آخذ منى كل مأخذ . وظل على حاله هذا وقتاً طويلا وأنا لا أستطيع أن أفسر

هذه اللعبة الجديدة التى يريد أن يلعبها الشيخ معى . أجئت هذه الليلة لاستمع لحديث كتابه أم لحديث قلبه وأخيراً أظهرت له شيئاً من الضجر وقلت له مقاطعاً

ـ ألا تخبرنى عن صحتك ... أأنت أحسن حالا اليوم ؟

فأجابنى والكتاب على وجهه :

ـ على أحسن ما يرام

وتابع مطالعته كأن لم يحدث شىء . ونظرت اليه غاضباً وناجيت نفسى :

ـ آه لو استطعت أن أقذف بكتابه هنا بعيداً وأن أضطره ليكشف لى عن سره

ولكن صديقى كان متابعاً قراءته غــير مهتم لشىء . ولما انتهت الزيارة وسلمت عليه مستأذنا ابتسمت فى وجهه ابتسامة متكلفة وقلت له متشجعاً :

ـ ولكنك لم تخبرنى عن سرك يا صديقى . . ألم تطلب منى ليلة أمس أن أحضر اليك لتفشى إلى سر آلامك

فهز يدى مسلماً وأخذ يدفعنى نحو الباب وهو يقول :

ـ أخرج يا مجدى افندى أخرج ... ومع السلامة يا صديقى

فخرجت غاضباً وأقفلت الباب خلفى بشدة . وتصادف أثناء خروجى أن رأيت شخصاً يسير فى الطريق فى عكس الجهة التى أقصدها ، وكان عزازى بشناق الشيخ مواق . فلما لمحنى أقبل على مسلماً وهو يقول :

ـ أهلا مجدى افندى . كيف حالك . لم أرك منذ مدة طويلة

ـ ولا أنا أيضاً يا عزازى . أين أنت . ألم تزل فى خدمة الشيخ مواق ؟

ـ لقد تركت خدمته منذ شهر . إن أخلاقه أصبحت لا تطاق

ـ كيف ذلك . وأنا لا أعرف من هذا الأمر شيئ . مع أنى أقابل الشيخ كل يوم تقريباً

ـ المقصود . رزقنا على الله ياسيدى . مولاك لايترك عبده المظلوم أبدا

ـ ولكن ما سبب خروجك من عند الشيخ ؟

ـ لا شىء وحياة رأسك . لا شىء مطلقاً . كان يشتمنى بلا سبب . ويلعن جدودى وجدود جدودى . وأنا صامت أتحمل شراسته من أجل أكل العيش . ولكن أخيراً لم أطق صبرا لقد صفعنى على وجهى . ولولا كرامة لحيته التى تشبه لحية المرحوم أبى لرددت له الصفعة بمثلها . . المقصود فضلا حضرتك راجع الى البيت ؟

ـ طبعاً يا عزازى

— ألا تريد أن أوصلك .. إن الطريق مقطوع . من يدرى بمن يطلع لك ، بسم الله الرحمن الرحيم ، انظر الى هذه الساقية . انه يسكنها منذ سنين

— وهل لا تخشاه أنت ؟

— كلا . لأنى أخذت عهداً على الشيخ الرفاعى ، حليف ملك الجن

— أسمح لك أن ترافقنى حتى نهاية المزارع أى الى أن ندخل ، العمار ،

— على عينى ورأسى . هيا

وسرنا جنباً الى جنب وعزازى يسامرنى بحديثه اللطيف . ولكننا لم نكد نبتعد عن المنزل قليلا حتى طرق سمعى أصوات الأنين والتهديد التى سمعتها قبلا فى المكان ذاته وفى الوقت عينه . فتوقفت عن السير وهمست فى أذن صديقى الفلاح قائلا :

— ألم تسمع ؟

— ماذا ؟

— هذه الأصوات الغريبة

— هذا شىء أسمعه كثيراً . انهم يقتلون هناك فى الساقية

وكنت متشجعاً بوجود عزازى . وسمعت فى هذه اللحظة الأصوات أوضح من الأول . فامسكت يد الشاب وقلت له بالحاح :

— هناك استغاثة ... انها أصوات آدمية .. يوجد اشخاص يتعذبون .. يجب أن نبادر الى نجدتهم يجب أن نعلم أين هم

وشددت عزازى معى . وقد خطر لى أن أرتاد منطقة الساقية والمنزل وما يجاورهما من الغيطان لعلى أكتشف مصدر هذه الأصوات . ولكن عزازى جرى من يدى وهو يقول ضاحكا :

— لاتتعب نفسك يا بحيرى افندى . وكن رجلا رزيناً . مالك ومال الجن . اتركهم فى حالهم يتركونا فى حالنا . تمال ياشيخ وفضها

وعدنا الى السير فى طريقنا . وأخذ عزازى يسامرنى من جديد بحديثه اللطيف

٤

وفى مساء اليوم التالى بعد تناولى طعام العشاء فى منزلى خرجت الى قهوة صغيرة بالقرب من المحطة لأدخن الشيشة وافرج عن نفسى بعض الضيق المستولى عليها . فرأيت هناك عامل البريد . فما كاد يرانى حتى هرع الى مسلماً . وبدأ حديثه معى — على الفور — قائلا :

— ألم تر صديقك الشيخ موافق ؟

— كنت معه مساء أمس

— واليوم ؟

— لم أره . ولكن لم هذا السؤال ؟

— لأنى مررت على منزله اليوم دفعتين لأسلمه خطابا مسجلا . فلم يشأ أن يقابلنى . وقد أخبرتنى أم حسن اللبانة أنها ذهبت اليه عدة دفعات لتسلمه اللبن والعيش . فلم يشأ أن يفتح لها . بل كان يصرخ فيها من خلف الباب آمراً اياها أن لا تعود

فعجبت لرواية عامل البريد . وتاجيت نفسى بصوت مسموع قائلا :

— ان أموراً رهيبة تجرى فى ذلك المنزل ولا ريب

— وما رأيك ؟

— أن نذهب لهناك فى الحال . . ان قلبى يحدثنى بوقوع مكروه . . . ألا توجد ركائب يمكننا استئجارها . ان المسافة بعيدة

— يوجد عند صاحب القهوة

وذهبنا من فورنا الى صاحب القهوة واستأجرنا منه حمارين . وصحبنا معنا فتى فلاح صلب العود متسلحا بهراوة ضخمة . وقطعنا نصف الطريق فى خمس دقائق اذ كان الحماران يعدوان بنا بأقصى سرعتهما . وما كدنا نصل البيت وننزل أمامه حتى اخترق سمعنا صوت رهيب صادراً من المنزل يصرخ قائلا :

— أخرج . أخرج من جسمك أيها الشيطان

فوقفنا جامدين لا نتحرك ونحن تنظر الى بعضنا فى دهشة ورعب . وأخـيـراً ملكت روعى وتكلمت قائلا :

— أقسم بالله أن هذا صوت الشيخ موافق . هيا الى العمل يا جماعة . ولنسرع

وهرولنا نحو باب الدار وأخذنا نقرعه بشدة . ولكن الشيخ لم يأبه بقرعنا إذ كان منصرفا الى مناجاة شيطانه يصرخ عليه بالخروج من حبسه . فلم نجــد بدأ من تحطيم الباب بفأس كانا ملقى فى الحديقة . ودخلنا فوجدنا الظلام الحالك يغمر المنزل بأجمعه فسرنا نتخبط على غير هدى ودليلنا صوت الشيخ . وبعد أن اجتزنا دهليزاً ضيقاً طويلا وجدنا أنفسنا أمام حجرة أرضية رطبة . وفى لحظة كسرنا الباب ودخلنا فاذا بنا أمام مشهد رهيب : حجرة ضيقة فاسدة الهواء تنيرها شمعة وهى خالية من النوافذ ، أشبه بسجون العصور القديمة . وفى ركن من أركانها رأينا الشيخ موافق جالساً القرفصاء وأمامه هيكل عظمى ممدد على الأرض ، يكسوه شىء من اللحم والخرق البالية . وبجوار هذا الهيكل

بكوز قديم من الصفيح . . ولم يكن فى الغرفة شىء خــلاف ذلك . فهرعنا نحو الهيكل نفحصه فوجدناه جثة لا حراك فيها ، بينما كان الشيخ يصرخ فينا بصوت أجع مخيف قائلا :

— لا تقربوها . لا تقربوها إنها رجس من عمل الشيطان

وقلبت رأس الهيكل بين يدى لأتعرف من هو . ثم صرخت فى وجه الشيخ قائلا :

— ابنتك . ابنتك . ماذا فعلت بها ؟

فأجابنى ، وقد بدأ يستولى عليه ذهول عجيب :

— لا شىء . لقد أخرجت الشيطان من جسمها ،

وهبط متربعاً على أرض الغرفة وأخذ يتكلم بهدوء وضعف :

— . . . لقد فاجأتها عــدة مرات وهى تنظر الى عزازى نظرة كلها فجور واشتهاء . فعلمت أن الشيطان قد حل فى جسمها ، ولن يخرج الا بعذاب اليم . فخبأتها وقللت لها الطعام وبدأت تعذيبى لها . وما كنت فى عملى هذا إلا محاربا للشيطان . ولكن كان قويا يكتفى بالزاد القليل و يحتمل التعذيب بصبر غريب . فلم أجد بدا من منع الطعام عنه بتاتا وقصره على شرب المـاء . وضاعفت أثناء ذلك تعذيبى . . . وأخيراً نجحت فى مسعاى . . . لقد رأيته الليلة بعينى رأسى يخرج من فمها على شكل دخان مخيف ، متلاشياً فى سقف الغرفة . . .

فتمتمت قائلا و رأس الفتاة بين يدى .

— كان فى استطاعتى انقاذها ليلة أمس قبل أن يقضى عليها هــذا المجنون . . . ولكن . . ما باليـد حيلة الآن

وطرأ على الشيخ موات ضعف فجائى فحملناه وجثة ابنته الى حجرة النوم . وأرسلنا الفتى الفلاح ليخبر البوليس ويستدعى أحد الأطباء . . . !

جنيف فى ديسمبر سنة ١٩٢٩

محمود تيمور

صفحة من هافلوك اليس

لقد كان اهتمام المشترعين على الدوام أمر الناس بالراحة وليس أمرهم بالعمل كما نرى في وصايا موسى

على كل انسان أن يعتمد على كنوز نفسه فقط ويعيش مدة ما منفرداً في الطبيعة وذلك لكي يتصل بالطبيعة اتصال الوفاق وينزل على لحنها ويحس الثقة بنفسه . والرجل او المرأة التى لم تعمل ذلك قط تجد في الحياة خفايا عدة بل مشقات لاضرورة لها

اذا لم يكن الانسان قادرا على ان يغني وهو يحمل الخشبة التى سيصلب عليها فخير له ان يطرح هذه الخشبة

ليس في العالم ناس كثيرون فقط بل أشياء كثيرة أيضا . وذلك لأن السرف هو سجية الطبيعة . ولكن الاقتصاد هو سجية الانسان . وذلك لأن للطبيعة آلافا من الاحياء تلعب بهم أما الانسان فحي واحد ليس له سوى حياة واحدة

لايسعنا الا أن نسير وراء الزامر نسمع زمره ولو قادنا الى الهلاك . وفي الانسان أشياء كثيرة تستكره ولكن فيه هذه السمة الجميلة التى سيعيش العالم ماعاشت

انما الحضارة هي جهد لن تتحقق غايته يجهده الانسان لكي يخفي تلك السمات التى يحسبها أنها سمات حيوانية

اذا كنت اطمع في شيء فاني لا اطمع في أكثر من ان يكتب على قبري : لقد اضاف الى العالم قليلا من البهجة وقليلا من النور . وكلاهما وحدة لاتنفصل

الجمال هو الحقيقة عندما تكشف عن غطائه وعندما نبلغ الى اعماق هذه الحقيقة نجد انه هو الجمال

من شاء ان يسير سيرة الحكمة بين الاخطار المتعارضة في الحياة كان في حاجة الى قليل من التفاؤل وأيضا الى قليل من التشاؤم

اذا اردنا ان نكون على وفاق مع العالم وجب ان نكون على خلاف مع أنفسنا الماضية . وذلك الرجل الذى يتعلق بآرائه الماضية ولا يغيرها انما يتعلق بشيء ليس له به علاقة

يجب على كل منا ان ينال العالم الروحي وحده . ويتحمل مشقة السعي اليه وحده . اذ ليس هناك طريق اخرى للخلاص فان ارض الموعد تقع على الجانب الآخر من التيه

العبقرى يرى العالم من زاوية اخرى غير تلك التى ينظر منها سائر الناس . ومن هنا مأساة حياته

العبقري غريب عن العالم يعيش في الارض وكأنه يحج فيها حجة . وكأنه يرى كل شيء من خلال مراية مقببة او مقعرة فتبدو له الاشياء كبيرة او صغيرة بخلاف مايراها الناس

التطور انما هو آلة لجمع القوة والطاقة في انتاج اقل عدد واكفى عدد من الافراد . وجهاد الطبيعة ينحصر في ان تتدرج نحو وضع الكيف مكان الكم

البهائية والعصر الحديث

دين جديد يوافق النزعات الجديدة

تلهف جميعنا ازاء الاستعمار والتعصب والمادية والحروب الى ما يقاوم هذه النزعات بنزعة آخرى تعمل لتوحيد الأمم وربطها بدلا من تفكيكها . ولذلك فانا نرانا من وقت لآخر نرحب بكل ما يعمل لهذا التوحيد سواء أكان فى الأدب أو الدين أو الاجتماع .ومن الأديان الحديثة التى تعمل لتوحيد الشعوب وتحض على الاخاء والسلام هذه البهائية الجديدة

ومثل هذا الدين سيجد بالطبع مقاوميه ومنكريه من المؤمنين بالأديان الأخرى إذ هم يرون انه يجب القنوع بها كما سيجد معارضين له من رجال العلم أو الأدب أو الفلسفة الذين نفضوا أيديهم من الأديان التى وقفوا على أصولها التاريخية وعرفوا حلقات الصـلة بينها وبين الوثنيات القديمة . ولكن الفريق الأول فريق المؤمنين يجب أن يدرك أن الانسان لم يقض عليه القضاء الأخير ولم يحرم الحرمان التام من الوحي وأن النفس البشرية ما زالت تستلهم الخير والبر وترق باستلهامها وأن العالم يجب أن يتطور فى أديانه ويتجدد بها . وخير للمؤمنين أن يروا ديناً جديداً من أن يروا انكارا ونقضاً . أما الفريق الثانى وهو فريق العلماء والادباء والفلاسفة فلا يمكنهم أن ينكروا الفائدة من رباط جديد يربط الناس بالاخاء والحب . وقد رأينا الادباء يحاولون ايجاد هذا الرباط بالأدب وهذه محاولة شريفة . ولكن هذا الرباط الأدبي لا يمكن أن يربط كل الناس وستبقى هناك نفوس تنزع نحو الدين وتجد فيه العزاء فى هذه الدنيا كما تجد فيه الباعث للمعيشة الحسنة والأخلاق الفاضلة

وتمتاز البهائية عن جميع الأديان الحاضرة بأنها خالية من تاريخ سيء كما هو الشأن فى كثير من الأديان التى نذكر لها اضطهاداتها للعلم أو قتلها للمخالفين أو قيام طبقة من الكهنة لها آذت النـاس وتركت فى صدورهم أحقاداً . فهذا الدين بخلاف المسيحية أو الاسلام أو اليهودية لم يقتل أحداً من مخالفيـــه الى الآن ولن يقتل. لأن مبادئه تدعو قبل كل شيء الى السلام والاخاء. وتعترف بوجود الاديان الأخرى بل تستعين بها وبذلك فهو لن يترك فى نفوس مخالفيـه حقداً عليـه . وباعتراف البهائية بالأديان الأخرى وسيلة للاعتراف بالحرية الفكرية أو الحرية الدينية

ونحن نحب أن يلقى هذا الدين تأييداً فى مصر حتى ينتشر بين الطبقات التى لا تجد من الأديان السائدة أو من العلوم والآداب ما يقنع نفوسها . وفى انتشار البهائيـة كبت للتعصب ودعوة الى اخاء البشر. واذا كنا الآن نعلق الآمال الكبار على عصبة الامم ، والغاء الحروب وايجاد

« ولايات متحدة » للعالم فن الحق علينا أن نساير هذه النزعة السياسية بنزعة أخرى دينية توافقها وهذه النزعة نجدها فى البهائية

وقد نشأت البهائية فى فارس فى أواسط القرن التاسع عشر على يد الباب الذى سار سيرة معظم الأنبياء إذ دعا دعوته فصار له أولياء وأعداء. وقبضت عليه الحكومة فى تبريز وأعدمته فى ٩ يوليه سنة ١٨٥٠. وقتل أيضاً كثيرون من تلاميذه الذين تحمسوا فى نشر دعوته ولكن هذا القتل زاد الدين الجديد انتشاراً لأنه اكسب المقتولين سمة الشهداء وعطف عليهم القلوب. وحدث سنة ١٨٥٢ أن حاول أحدهم قتل الشاه فتجدد الاضطهاد وقتل كثيرون من البابيين

وبتزايد القتل زاد دعاة هذا الدين. فاتفقت الحكومة الفارسية مع حكومة الاتراك على نفى عدد كبير من زعماء البابيين الى بغداد وابقائهم تحت حراسة الدولة التركية. وظنت الحكومتان بذلك أن النار ستخمد وتنطفىء انطفاءها النهائى

وكان من تلاميذ الباب رجل يدعى الميرزا حسين على نورى ولد سنة ١٨١٧ وقد لقب بعد ذلك بلقب « بهاء الله » واليه نسبت البهائية. وكان قد قبض عليه سنة ١٨٥٢ فى طهران ثم نفى الى بغداد مع سائر من نفوا اليها. ولكنه استطاع أن يترك رفقاءه فى بغداد و يعيش منفرداً ناسكا فى جبل يقع فى شمال السليمانية. وفى هذا الانفراد استطاع أن يجمع قوى نفسه ويتحد مع الطبيعة. وكان الانفراد والعزلة والاعتكاف خصال يحتاج اليها كل نبى أو مفكر لكى يرى نفسه امام الطبيعة و يخاطبها ويتفاهم وهذا الكون الذى يحجبه عنه ضوضاء الناس وأحوال الاجتماع. وما هو أن قضى السنتين ناسكا فى ذلك الجبل حتى الفى نفسه تثور به الى العمل فعاد الى بغداد وهناك وجد الجالية الفارسية المنفية التى استقبلته كأنه الزعيم بل النبى لهذا الدين الجديد. وهنا يجب أن نذكر أن الباب كان من التواضع بحيث لم يحسب نفسه نبياً بل دعا نفسه بشيراً لدين جديد وان النبى سيأتى بعده على نحو ما فعل يوحنا للمسيح. فلما عاد بهاء الله الى بغداد استقبلته الجالية الفارسية كأنه النبى الموعود

وبقى مدة فى بغداد. ولكن الدين بدلا من أن ينطفىء فى فارس زاد احتداماً وكأن نفى الزعماء لم يزده الا تسعراً وانتشاراً فخافت الحكومة الفارسية وطلبت من الباب العالى نفى البهائيين الى الاستانة. وكان سلطان الأتراك يخشى البهائية كما يخشاها شاه ايران ولذلك لبى هذا الطلب. وخرج البهائيون فى رحلة شاقة الى الاستانة. وبينما هم فى الطريق وقد حطوا رحالهم للراحة خطبهم بهاء الله خطبة هى الآن دستور الدين الجديد وهى أقرب الأشياء الى خطبة المسيح على الجبل

قال بهاء الله فى تلك الخطبة : « أنهم منذ الآن يجب أن يكفوا عن نبز الناس بالكفر اذ ليس فى العالم كفار. وأن الله خلق الناس كأنهم القطرات المنفصلة من ماء بحر واحد أو هم الأوراق من شجرة واحدة. فجميع الناس طاهرون ليس بينهم نجس. وان الباب لم يستشهد فى سبيل الفرس والاسلام بل فى سبيل جميع الناس على السواء. وقد مضى زمن « الأديان » و بزغ فجر « الدين »

ومن هذا الوقت لم تعد البهائية مذهباً من مذاهب الاسلام إذ خرجت من هذا التحديد وصارت مذهباً من مذاهب البشرية أو ديناً جديداً . وقد تركه فى تلك الساعة بعض التابعين الذين ظنوا أن البهائية مذهب جديد من المذاهب الاسلامية . وأخذ بهاء الله فى تفسير الدين الجديد بكتاب «الأيقان» وأرسل خطابات الدعوة الى الملوك والأمراء . وكل هذا قام به وهو فى رحلته مع اتباعه وأشياعه الى منفاه الجديد فى الاستانة . ولكن السلطان لم يرقه رؤية هذا الزعيم الجديد فى الاستانة قريباً من قصره فأرسله هو وشيعته إلى أدرنة ومنها الى عكا

وفى عكا أخذ الدين الجديد صبغته الحاضرة تلك الصبغة الأممية التى لا تنتمى الى شعب خاص أو دين خاص . فكان هناك المسيحى والوثنى والمسلم واليهودى وكل منهم لا يرى تناقضاً فى الأيمان بدينه مع الأيمان بالبهائية التى تعترف بجميع الاديان وتوحدها . ومات بهاء الله سنة ١٨٩٢ فخلفه فى الزعامة ابنه عباس افندى ورأى السلطان عبد الحميد أن الحبس والاعتقال لا يفيدان فأعلن العفو عن البهائيين فانتشر دينهم انتشاراً عظيما . ومعظم انتشاره فى فارس وفى أوربا وأمريكا حيث النفوس العطشى الى الدين تجد فيه ما يروى الغلة

والآن ماهى ميزات البهائية التى تجعلها توافق العصر الحديث ؟

أول كل شىء أنها دين لا يعتمد على سلطته وهو لا يدعو الى عقائد يجزم بها وليس له كهنة يحمونه أو دولة تدافع عنه بل يقول بهاء الله انه يجب على كل انسان أن يؤمن بما يقتنع به . فالدين يجب أن ينبع بقوة الضمير من قلوبنا الى ألسنتنا ولا ينزل بقوة السلطان من ألسنتنا الى قلوبنا . ثم هو يقول أن الوحى لم ينقطع لأن الانسان ما يزال متصــلا بالسماء وتكاد تحسبه يعد العبقرى نبياً يوحى اليه . ومن أعجب ملاحظاته قوله: «أن الكاهن هو العدو الطبيعى للنبى لأنه يمنع تطور الدين وترقيته عندما يرى أن مصلحته تطالبه بلزوم الحرف دون الروح» . وهنا يقول بودوان العالم الفرنسى أن رجال التفكير الحر لم يصموا الكهنة فى كل ما قالوه عنهم بمثل ما وصمهم بها. الله بهذه الكلمة

وخياله عن الله هو خيال الصوفيين المسلمين فهو يقول أن الله كائن فى الذرة . وانما تتفاوت درجة الألوهية فى الناس . فكل انسان انما هو انسان وآله معاً تزدوج فيه الطبيعتان أو هما طبيعة واحدة . وأجمل ما فى البهائيــة ويكاد يكون أقرب الى الشعر منه الى الدين قول البهاء :أن البعث الذى يراد به احياء الأجسام بعد الوفاة انما هو بعث وتجديد فى حياتنا الراهنــة . والنبى هو ذلك الذى يبعث نفوس الناس ويجــددها وهو هنا يوافق المسيح فى قوله : يجب أن تولدوا من جديد . وانما الميلاد الجديد هو تجديد النفس وبعثها من خمولها السابق الى يقظة الايمان

ويمكن أن يقال بوجه الاجمال أن البهائية تنزل على حاجة العصر الحاضر الذى نكره فيه تعدد الأديان وما تجلب فى مخالفة بعضها للبعض من تحزبات وتعصب . وتدعونا الى ما نشعر به جميعاً بأنه

يجب أن يكون لنا دين هو دين الاديان أو صوفية عالميـة كما يدعو الى نشاط الضمير وديمقراطية العقيدة التي يجب أن تكون عفو الطبيعة والقلب وليست ثمرة املاء الكاهن والسلطان

وتدعو البهائيـة فى المعاملة الى أن يكون الحب أساسها ولذلك فهى تعارض فى الوطنية وتجعل السلام العـام غاية من غاياتها . وهنا ارتقى البهاء على البـاب . فقد كان الباب يقول باستعمال السيف للدفاع عن الدين ولكن البهاء قال كلمته المشهورة : « خير لنا أن يقتلنا الناس من أن نقتلهم »

وهذه الكلمة مبالغة أو غلو يراد به الوسط فقط لأن العمل بها يؤدى الى الفوضى ولا يجعل للحكومة معنى . والبهائية تعترف بالقوانين العامة والامـلاك الشخصى للعقارات وتعنى أكبر العناية بتربية الأطفال وتنشئتهم على الفضيلة وتمنع المؤمنين بها من النسك والرهبانية

وقد مات عباس افندى فى حيفا سنة ١٩٢١ فخلفه حفيده شوقى افندى زعيم البهائيين الآن

وللبهائية أساطيرها أيضا وقد لاتنتشر الا بها . ولكننا نحن فى حيرتنا الراهنة نحتاج الى ما يمسك تضامن الناس و يقوى التحاب والبر بينهم بمثل هذا الدين . فعلينا اذا لم نؤمن بعقائده الا نعوق نشره

• • •

ولسنا نحن نؤمن بالبهائية أو نشعر بالحاجة الى الايمان بها فان لنا من المزاج الادبى أو الفلسفى ما يجعلنا نلبس لانفسنا صوفية عالمية بغير الدين . ولكن هذا لا يعمينا عن الحقيقة الواقعة وهو أن فى الناس من يتغلب فيه المزاج الدينى على أى مزاج آخر فهو يلتمس الاستقرار الروحى من الدين ولا يجد ما يساويه فى العلم أو الادب أو الفلسفة أو الفنون الجميلة . ثم نحن نعيش فى زمن يطالبنا بالسلام والحب والاخاء والتضامن البشرى والحرية الروحية والسياسة فيجب أن نتوسل الى تحقيق هذه الغايات بكل وسيلة شريفة أى بالادب والفلسفة والدين . وهذه البهائية هى دين حسن شريف يجب أن نعاونه على البقاء والانتشار

أوكار الرجعية فى مصر

ثلاثة من الكتاب يكرهون الشباب المصرى ويدعون الى البغضاء

كان الأب لويس شيخو الذى كان يدرس العربية فى الجامعة الفرنسية ببيروت يفتخر بان الصحافة المصرية انما هى مصرية بالاسم أما فى الفعل والواقع فهى سورية . وان كبار الادباء فى مصر الذين قاموا بنهضتها هم سوريون أو من أصل سورى . وقد قال كلمته هذه منذ اكثر من عشرين سنة فى كتاب له عن الأدب العربى فى القرن التاسع عشر . ولو ان هذا الأب صحا الآن من قبره لما وجد مجالا لهذا الفخر . بل نحن المصريين نعرف أن تفوق بعض الصحف السورية فى الزمن الماضى لم يكن للبراعة فى الصحافة أو التفوق فى الأدب وانما كان للبراعة فى التجارة وفى غير التجارة

وما زالت الصحف التجارية السورية أو الصحف السورية التى تنزع نحو السياسة التجارية تتفوق على الصحف المصرية وتطردها أحياناً من الميدان . ولكن ليس هذا لكفاية أصحابها وانما لظروف سياسية تقضى بهذا القضاء على بلادنا . ففى العام الماضى بقى الاستاذ محمود عزمى عاطلا لا يكتب ولا يجد من يستكتبه ولابد انه قد ضاق بعيشه ولكنه فى ذلك لم يكن أقل شرفاً أو كفاية من الكتاب السوريين فى مصر بل بالعكس كان أبعد شرفاً فى عطلته وأحظى بها عند أمته . وهذا أيضاً كان حال الاساتذة عبد القادر حمزه وعباس العقاد وحافظ عوض وغيرهم . فقد أقفلت جريدتا الأول والثالث مدة طويلة كانت فيها الجرائد السورية فى غاية الرواج وتوالى الأرباح لانفساح الميدان امامها بتعطيل جرائدنا المصرية . ولأن هذا القضاء الذى ذكرناه يقضى على بلادنا بأن يجعل الصحافة المصرية صناعة غير مصرية . فنحن نفكر من وقت لآخر فى تشجيع الصناعات الوطنية ولكن تعطيل الصحف المصرية من وقت لآخر يفسح الطريق لغير المصريين لأن يسودوا الميدان الصحفى . وبعد فما هو ذنب المصرى الذى تعطل صحيفته وما هو فضـــل السورى الذى لا تعطل صحيفته فى الأزمات السياسية ؟ فلنتأمل قليلا ولنحاول أن نجعل الصحافة المصرية صناعة مصرية

ومما يشرف جميع الصحفيين المصريين ولا يمكن أن يفخر به أمثال الأب لويس شيخو أن الصحافة الرجعية أو الأدب الرجعى فى مصر يكاد ينحصر الآن فى ثلاثة من الكتاب السوريين أو الذين يرجعون الى أصل سورى . وأولهم وأقدمهم هو

الشيخ رشيد رضا

وهو رجل نشأ فى لبنان ونزح الى مصر مع فرح انطون . فأنشأ هذا « الجامعـــة » فكانت

مصباحاً يستضىء به الادباء ويتعش بنوره القراء . وأنشأ الشيخ رشيد مجلة دينية ما تزال حية تدعى «المنار» ، ورأى الشيخ رشيد فوز زميله فامتلأ صدره حقداً عليه وما زال يتربص به حتى أوقعه فى جدال يمس الاسلام . ومن ثم أخذ يصيح بل يعربد بالنعرة الدينية و ينادى أن فرح أنطون يطعن فى الاسلام ويتهمه بالتعصب . وكانت البلاد ساذجة تجوز عليها هذه الأوهام فسقطت مجلة الجامعة وماتت . وكان الشباب المصرى هو الخاسر بذلك لأن هذه المجلة كانت تعمل للرقى . وهاجر فرح أنطون مصر الى الولايات المتحدة واضطربت أحواله فعاد الى مصر واشتغل بالصحف اليومية فى أعمال لا تثمر ومات فقيراً لم يخلف قرشاً مع أن خصمه هذا رشيد رضا يتمرغ الآن فى الضياع والعقارات التى جمعها بالنعرة الدينية . وأذكر الآن احتفالا أقامه الأدباء فى القاهرة لذكرى فرح أنطون ووقف فيه رشيد رضا يخطب و يؤبن فذكرت وأنا أنظر اليه تلك الديكة المصارعة حين يقف الديك المنتصر على جثة خصمه و ينفض جناحيه و يصيح صيحة الظفر . وأظن أن هذا كان احساس جميع الحاضرين . و يعيش الآن الشيخ رشيد رضا بسب المجددين المصريين واتهامهم بالكفر . وغيرته الدينية مقصورة على مصر . فسوريا وطنه الأصلى قد تتمزق بالاستعمار أو قد تعيش فى فوضى وشقاق ولكنه لا يغار عليها بل يغار علينا نحن المصريين وهو السورى القح الذى ليس فى دمه قطرة واحدة من دماء المصريين . وقد يتساءل الانسان : هل هذه غيرة للدين أم غيرة للعيش ولماذا لا تكون بلاده الأصلية أولى منا بخدمته وحمايته ؟ وعندنا سورى آخر يغار على الدين ولكنه لا يقصر غيرته على الدين بل يضيف اليها الغيرة على الشرق هو :

محب الدين الخطيب

وهو شاب ليس فيه خبث الشيخ رشيد . وللشباب سذاجته ولكنه يسير فى خطة عوجاء لا بد انها ستنتهى به الى شر ما انتهى اليه الشيخ رشيد . وغيرته على الدين تدفعه الى سب المجددين واتهامهم بالكفر وقد قاده ذلك الى سب المصلح العظيم أمان الله خان ومدح الشقى ابن السقاء حتى قبضت عليه السلطات المصرية وحكمت عليه المحاكم بالعقوبة . وغيرته على الشرق اكبر من غيرته على الدين أو هى تساويها على الأقل وهو يصدر مجلتين فى الطعن فى كل من طه حسين وعلى عبد الرازق وأمثالهما من شباب مصر الراقى ويدأب فى ذلك أسبوعاً بعد آخر حتى ليظن القارىء لمجلته انه ينوى بهما شراً عظيماً أو يريد منا أن نطردهما عن وطنهما مصر . أما هو فيجب أن يعيش بيننا ضيفاً كريماً لا يرد له قول أو فعل . وهو فى كل ذلك لا يشعر أنّ مصر ملك للمصريين وليست ملكا للسوريين وأن تحريض المصرى على المصرى هو وقيعة سافلة أقل ما تقابل منا أن نقول له : ازح الى بلادك وهلم بغيرتك هذه للدفاع عن وطنك الأصلى . ولهذين الاثنين ثالث هو أقذرهم لساناً وأشدهم عداوة لشباننا وهو :

مصطفى صادق الرافعى

وهذا الرجل مع انه موظف فى الحكومة المصرية الآن ليس فى دمه قطرة من الدم المصرى .
وهو أخصائى فى السب يشتم يميناً ويساراً بلا حساب وبسلاطة يحسبها بلاغة يقول عن العقاد انه « مراحيضى » وعن طه حسين انه « جاهل » وهو مع انه مصرى الرعوية ما يزال يستصغر كفاية المصريين ويقول إن الازهر لو كان قد أسس فى بلاد أخرى (مثل وطنه الأصلى سوريا) لكان له شأن عظيم غير هذا الشأن الصغير الذى له لأن القائمين به مصريون فقط . ولكن استصغاره لشأننا لا يحركه الى الرحيل عنا الى وطن آبائه . وهو أصم الاذنين ولكنه حاد النظر يرى الجنيه من وراء حائط ويحتال له احتيالا بديعاً . فمن ذلك مثلا انه طبع كتاباً له مرة ثانية وخشى ألا يشتريه الذين اشتروه فى المرة الأولى فغير من اسم الكتاب فقط ولم يغير من موضوعه . ثم هو فظ فوق ذلك تشم من بين سطوره انفاساً بخراء من القحة والبذاءة . كتبت ذات مرة سيدة مصرية تتعجب من اصداره كتاباً قديماً باسم جديد فرد عليها يسكتها ويقول لها « أنا رجل وعر » وأراد أن يقول كلمة حسنة فى سعد باشا فقال عن جثمانه « انه رمة من الرمم » .

ولهؤلاء الثلاثة غارات لا تنقطع عن شخص المحرر لهذه المجلة . فهو فى نظرهم كافر وشيوعى ونصرانى مدسوس على الاسلام وإباحى الخ

فأما عن الكفر فأنا أدلهم على إيمانى فهو إيمان الدكتور هيكل بك والأستاذ محمود عزمى والأستاذ عزيز ميرهم بل ايمان معظم الشبان المصريين الذين درسوا شيئاً من العلوم العصرية . ولا يمكن أن يسمى واحد منهم كافراً إذ أن لكل منهم صوفيته الدينية أو الفلسفية أو الأدبية

وأما عن الشيوعية فانا أعترف أنهم معذورون ونمعى فيها . فهم الى الآن على الرغم من دخولهم فى الرعوية المصرية لايدركون أو لايحسون الدوافع التى تدفعنى الى الاكثار من الكلام عن الفقر وحالة الفلاح وحرية المرأة . وذلك لأنهم ما زالوا سوريين فى الدم والمزاج . أما أنا فمصرى ودمى هو دم هذا الفلاح الذى أتكلم عنه دائما ولا أطيق أن أراه يعيش فى كوخ ليس فيه مرحاض أو حمام . وهم ينظرون اليه كانه أجنبى عنهم بل الواقع أنه أجنبى عنهم بسحنته ولونه ولهجته . ولو وقف الشيخ رشيد رضا أو محب الدين الخطيب بين جماعة من الفلاحين لما استطاع أحدهما أن يتفاهم وإياهم بكلام مفهوم . وقد جعلوا الدعوة الى اصلاح الأحوال التى يعيش فيها فلاحونا دعوة الى الشيوعية . وهذا لؤم ودناءة

وأما أنى نصرانى مدسوس على الاسلام فالرد عليه سهل . وهو أن الاسلام دين بلادى وواجبى أن أدافع عنه أمام الأجنبى . وهذا ما فعلته فى كل ظرف . ففى سنة ١٩٢٠ مثلا كتب السير هارى جونستون مقالا فى مجلة ذى نيوستيتسمان التى تصدر عن لندن وهى الآن لسان الوزارة البريطانية ينحى فيه على الاسلام ويطلب منا الغاء الأزهر . فرددت عليه رداً مفحما قلت فيه انى مع انى قبطى

أعيش بين مسلمين لا أجد ان الاسلام يؤذى غيره بل هو يعمل للتسامح والأخاء . وانما فعلت ذلك لأن السب فى الاسلام هو سب لبلادى . وفى العام الماضى اقترحت الاحتفال بمرور الف عام على تأسيس الأزهر باعتباره أقدم جامعة فى العالم . وليس فى ذلك غرابة لأن الفخر بهذه الجامعة يعود على المصريين جميعاً فهو لا يخدم الاسلام فحسب بل هو جامعة مصرية تخدم الثقافة المصرية

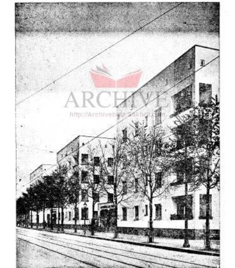
وأما الاباحية فتهمة لا أكاد أفهمها وقد اتهمنى بها كاتب وغد من السوريين يدعى شكيب ارسلان وهو درزى يقيم الآن فى أوربا ويعيش فى الفنادق . فهذا الذى يتقلب فى فنادق أوربا يتهمنى أنا بالاباحية وانما انا رجل مصرى متزوج ولى خمسة أولاد . فهل رأى أحد أعجب من ذلك ؟

وبعد فنحن نقول لهؤلاء السوريين سواء تمصروا أم لم يتمصروا انه لا يليق بهم أن يدخلوا بلادنا ويعيشوا بالافساد والوقيعة بين أبنائها المسلمين والنصارى والشبان والشيوخ . وشبابنا لا يرغب فى الفساد أو الكفر أو الشيوعية وانما يرغب فى أن يرى مصر مثل الأمم الأوربية الراقية مثل المانيا أو انجلترا . ولا يحب أن يراها مثل الأمم الشرقية المنحطة مثل الهند أو جاوه . وهذا هو رأينا الذى نعمل له والذى عمل له من قبلنا اسماعيل باشا . ونقول لهم أيضاً أن اتهام كل شاب يطلب اصلاح أحوال الفلاحين بالشيوعية هو من الدناءة بحيث يستحق كل احتقار واذا كانوا هم لأنهم أجانب عن السلالة المصرية لا يعطفون على فلاحنا فنحن لسنا أجانب عن هذا الفلاح ومن العقوق به أن نسكت على شقائه الحاضر . ثم نهمس اليهم جميعاً بأن الجمهور المصرى قد ارتقى وأن الطن فى آذانه بأن هذا أو ذاك من من الكتاب كافر أو شيوعي أو عدو الاسلام أو اباحى انما يعده الجمهور هذراً سخيفاً وتلك اللعبة التى لعبها رشيد رضا مع فرح انطون حتى أمات مجلته قد فات أوانها . ثم لنا كلمة أخيرة نقولها لقراء هذه المجلات الرجعية وهم قراء مصريون : ألستم تؤمنون بأن الصحافة المصرية يجب أن تكون صناعة مصرية مثل سائر الصناعات ثم هل تظنون أنه يمكن الكاتب المصرى أن يعيش فى دمشق أو بيروت أو حلب ويصدر جريدة للطعن فى شبان سوريا واتهامهم بأنهم كفار اباحيون شيوعيون ويمشى بالوقيعة بينهم وبين شيوخهم كما يفعل عندنا الرافعى ورشيد رضا ومحب الدين الخطيب وشكيب ارسلان ؟ نظن أنكم تعرفون أن السوريين لا يسمحون لمثل هذا الكاتب المصرى لأن يعيش بينهم ولن يقرأوا جريدته أو مجلته لاعتبارين : الأول أنهم يحبون أن تكون الصحف السورية فى أيدى سوريين والثانى أنهم يرون من الخسة والبلاهة أن يكره بعضهم بعضاً بقراءة ما يكتبه عنهم صحفى مصرى أجنبى عنهم . فلنفهم واجبنا ولنعرف أن الوطن خالد . وأن شيوخنا وشبابنا مصريون قبل كل شىء عليهم واجب محتوم يقاضيهم اياه شرف البلاد وهو أنه يجب أن تكون الصحافة المصرية صناعة مصرية لا تنحصر مصريتها فى أن يكون قراؤها مصريين بل يجب أن يكون أصحابها ومحرروها مصريين أيضا . وأنه من العار أن يكتب عن بلادهم فى المستقبل مثلما كتبه عنها لويس شيخو قبل عشرين سنة

سلامه موسى

مساكن العمال فى اوربا

أكبر ما يفصــــل بين المتمدنين والهمج والمتوحشين هو المنزل . بل يمكن أن تقسم الشعوب الانسانية باعتبار المنازل التى تنزلها فيكون هذا التقسيم دليلا على الدرجة التى بلغها كل منها من الحضارة فالفرق مثلا واضح جداً بين البدوى الذى يضرب خيمته أينما نزل وبين الحضرى الذى يبنى منزلا



المساكن الجديدة للعمال فى برلين بالمانيا

بالحجر والآجر . وهو أيضاً واضح بين الهمجى الذى يعيش فى خص من القصب والقش لم يعرف بعد معنى للبناء وبين غيره من أصحاب البناء . ولن نكون مخطئين فى هذا التقسيم الاجتماعى إن لاله شبهاً فى التقسيم البيولوجى بين الحيوانات الرخوة مثل القواقع والمحار فانها تقسم بحسب أصدافها وهى بيوتها

والبيت لم تعد تقتصر منفعته على الضرورة كما كان فى أول نشأته مكاناً « يبيت » فيه الانسان فى الليل كما يدل اشتقاق اللفظة العربية . وانما هو الآن مثابة يثوب اليه الانسان للراحة والتمع ويحتوى على كماليات ترفه عنه عناء الكد . تزخرف جدرانه وتعلق به الصور ويحتوى أحيانا على كنوز من الأثاث والتحف والكتب

ومناخ البلاد يؤثر فى بناء البيوت واختيار المواد . فحيث تكون البرودة وتوالى المطر مثل أوربا تزيد العناية بالبناء ووقاية السكان من التقلبات الجوية . ولكن حيث يكون المناخ حاراً والهواء جافاً تقل العناية لأن السكان يلجأون إلى الخلاء فى معظم أوقاتهم ولا يبالون كثيراً بالمنزل . وهذا هو الحال فى مصر . فان هذه الأكواخ القذرة التى يعيش فيها الفلاحون عندنا ليست ناشئة من تعمد الاهمال وانما يعود كثير من سوئها الى لطف المناخ وحره . وبعبارة أخرى نقول أن مثل أكواخنا هذه لو بنيت فى فرنسا لما عاشت أسبوعاً يتوالى فيه المطر لأنها تستحيل الى عجينة من الطين

العناية بالنور والشمس فى طراز البناء الجديد للعمال فى المانيا

ولسنا نقول هذا لتبرير الحالة القذرة فى القرى والعزب المصرية . فان الاعتبارات القديمة للمنزل، اعتبارات الضرورة قد ارتقت فصارت للكمال والرفاهية . فالمنزل الآن لا يعد منزلا انسانياً مالم يكن له حمام ومرحاض بل هو لا يعد منزلا لرجل متمدن مالم يحتو على صور وكتب وأثاث حسن

ويكاد الأوربيون يفهمون الآن من الحضارة أنها العناية بالمنزل وتأثيثه . وقد يكون هناك مقاييس أخرى للحضارة ولكن المنزل هو الشيء المحسوس الذى يمكن قياسه بدون التعرض كثيراً للخطأ

ولما نشطت الحركة الصناعية فى القرن التاسع عشر فى اوربا توافد العمال الى المدن فهجروا

القرى وازدحمت بهم المساكن وساء بناؤها فنشأت من ذلك أحياء بناها أصحابها للتجارة فكانت ضيقة مظلمة تتكدس فيها أسر العمال . ولكن الدعوة الى اصلاح هذه المنازل أو هدمها واقامة منازل أخرى مكانها بدأت منذ القرن الحالى بقوة الآراء الاشتراكية التى تسربت حتى الى عقول المحافظين . فلما نشبت الحرب وصار عمال المصانع أبطالا فى الجيوش أخذت الحكومة الانجليزية تعد الوعود بشأن الاصلاحات الاجتماعية العدة وكان من ذلك وعدها ببناء مساكن جديدة . وكان مجلس كونتية لندن مثلا يبنى قبل الحرب منازل حسنة للعمال ولكنه كان يسير ببطء لا يفي الحاجة . فلما انتهت الحرب صار يبنى فى العام مثلما كان يبنى فى عشرة أعوام قبل الحرب . وقد بنى الى الآن نحو خمسين الف منزل والبناء ما يزال مستمراً . وهو يتبع خطتين مختلفتين فى البناء . ففى ضواحى لندن يبنى منازل صغيرة مستقلة مؤلفة من طبقتين يستأجرها العامل بمبلغ يتراوح بين جنيهين واربعة فى الشهر ولا يسكن أحد غيره فى المنزل . أما فى لندن نفسها فالأرض غالية لا تسمح ببناء بيوت مستقلة ولذلك يبنى المنزل وبه أربع أو خمس طبقات ويحتوى على مساكن تختلف فى عدد الغرف من اثنين الى خمس . وهذه المساكن مجهزة بالكهربائية التى تستعمل للاضاءة والتدفئة والطبخ وحولها حدائق فسيحة يمكن الصبيان والأطفال أن يلعبوا فيها آمنين من المركبات

وتبنى الآن منازل للعمال فى برلين ليست فقط غاية فى النظافة بل قد روعى فيها الجمال أيضاً يتوافر فيها النور والشمس ويحتوى كل مسكن على غرفتين أو ثلاث وحمام ولا يزيد كراؤه عن ثلاثة جنيهات فى الشهر . ورجل السياسة فى المانيا الآن هو المهندس أو المعمارى الذى ينظم المصانع ويبنى المنازل وليس هو الخطيب السابق صاحب الشقاشق والخلابة

أما فى فينا عاصمة النمسا فالمنازل الخاصة بالعمال تبنى كبيرة تحتوى على عدة مساكن واماكن للعب الاطفال واحواض للسباحة وقهوة للسمر والموسيقى وبين هذه المنازل سوق خاصة بالبيع فلا تحتاج ربة البيت الى تكليف نفسها عناء الذهاب الى اسواق المدينة

اليمن والامام يحيي

كما رآها الاستاذ امين الريحانى

من أحسن الكتب العربية الحديثة كتاب « ملوك العرب » الذى الفه الاستاذ امين الريحانى . وهو خلاصة ما شاهده فى سياحة طويلة حول جزيرة العرب ووصف فيه الاقطار العربية المختلفة ومعظم هذه الأقطار يجهلها القارىء المصرى . بل نحن نجهل الجزيرة كلها باستثناء الحجاز وقلما تزيد معرفتنا للحجاز عن مكة والمدينة

ومن الأقطار التى أخذ كثيرون من المصريين يهتمون بها قطر اليمن الذى زاره منذ سنوات أحمد زكى باشا . وقد نقل منه صوراً مختلفة للمساجد والمبانى فكان فيها ما يؤيد النظرية القائلة باشتراك أو وحدة الفن المعمارى بين اليمن والاندلس . ونحن فى مصر يجب أن يهمنا هذا الاكتشاف لأن صلة اليمن بمصر كانت كبيرة جداً قبل الاسلام . وربما كانت اليمن هى الأرض المقدسة عند المصريين القدماء . ثم اننا نجد من أبحاث المستشرقين الانجليز أن الأقباط كان لهم شأن عظيم فى عمار الأندلس . فالمسألة التى تستحق الحل الآن هى الوقوف على تلك العلاقة التى كانت بين مصر واليمن وكنهها ومداها فى الفن والدين عند ظهور الاسلام

ونحن ننقل ما يلى عن الاستاذ الريحانى فى وصف اليمن الحديثة وعاصمتها وأحوالها

قطر اليمن

يبلغ عدد اليمنيين نحو مليونين ونصف مليون وهو مقسوم الى أربعة ألوية هى صنعاء والحديدة وتعز وصعدة . والمذاهب الشائعة هى الزيدية والاسماعيلية والسنة . وهذا غير اليهود

وباليمن جبال أعلاها جبل سمارة الذى يبلغ ارتفاعه ١٠٠٠٠ من الأقدام ثم جبل بريم وهو ٩٠٢٠ قدماً ثم جبل بوعان وهو ٩٠٠٠ . وعند اشتداد البرد فى الشتاء يجمد الماء فى صنعاء على الرغم من انها تقع فى منطقة حارة قريبة جداً من خط الاستواء

صنعاء

وصنعاء هى عاصمة اليمن وهى ذات مدنية عربية صافية روحاً وشكلا أسواقها مثل أسواق جدة غير مرصوفة ولكنها أوسع وأنظف . أما بيوتها العالية وبعضها ست طبقات فبناؤها اكثر اتقاناً وأجمل هندسة لأن الأسلوب العربى فيها لا يشوبه شىء أجنبى هندى أو اوربى . وهى مبنية

بالحجارة السوداء والبيضاء وبعضها بالآجر والبعض باللبن . وبين كل طبقة وأخرى زنار من الجص الأبيض المنقوش بأشكال هندسية . وفوق كل نافذة كوة فيها لوح من المرمر (البستر؟) يكاد يكون كالزجاج رقيقاً شفافاً . ولكنه أمتن من الزجاج وأجمل . ولأكثر البيوت في الطبقة الأخيرة غرفة واحدة هي غالباً مطلة من جهاتها الاربع تشرف على المدينة وتدعى « المنظرة » وهم يستخدمونها للاستقبال والقيلولة ويفرشونها بالطنافس والمساند والوسائد . ومنهم من يستعملون الزجاج الملون في النوافذ فيقسمونه أشكالا هندسية وبلونونه بالاحمر والاصفر والاخضر والازرق أي الاصباغ الاربعة التي يصبغون بها في اليمن ويستخرجونها من النبات



منظر في صنعاء عاصمة اليمن

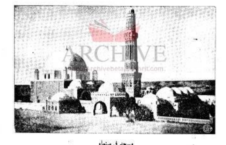
، أما الاحياء فتختلف رونقاً ونظافة . كان رفيقي ونحن نتنقل من حي الى آخر كأنا نبحث عن بيت نقيم فيه يقول : هذه الدرجة الأولى . أي أحسن البيوت في المدينة . وهذه الثانية . وهذه الثالثة . وأهل صنعاء مثل سكان المدن كلها لا يقسمون الى ما يتجاوز ثلاث طبقات . ولو كان في جوارها أو فيها من البدو لكانت الطبقة الرابعة في المضارب والخيام خارج السور

، ما عرفت اليمن في أثناء الحرب ولا تعرف حتى اليوم غلاء المعيشة والأجور . فان مجرد ذكر أجرة البيت في صنعاء يشوق اخواني في مصر الى الاقامة فيها . وقد يحمل بعضهم على السفر الى اليمن . فهذه مثلا بيوت طبقاتها من الثلاث الى الست . وهي من الدرجة الأولى أي في أحسن حي من المدينة وفيها المنظرات والمرمر والزجاج الملون وما أجرة الواحد منها في الشهر غير اربعين قرشاً مصرياً

، وهم مع ذلك يشكون من وقوف الاعمال وقلة المال وعسر الأحوال ومنهم من ينسبها كلها الى حكم الامام ».

الامام يحيى

وصف الاستاذ امين الريحاني الامام يحيى بقوله : « دخلنا فاذا نحن امام رجل ربع القامة صغير الرجل واليد أسمر اللون عالي الجبين مستدير الوجه قاتمه . وله فم كفم الطفل صغير بارز إلا ان في مرونته وهو يتكلم اشارة تقربه طوراً منك وتارة تبعده . وفي عينيه السوداوين القريبتين من أنف قصير عريض نور بض، وشرارة في بعض الاحايين وداعة . وله لحية سوداء قصيرة مستديرة يتخللها خيوط من الشيب . يلبس قباء من القطن مخططاً فوق جبة ذات أردان من نسج اليمن ولعمامته البيضاء الكبيرة ذؤابة تكاد تصل الى اذنه ».



مسجد في صنعاء

ثم يقول : « تنوعت الاحاديث وكان هو (الامام) يديرها رحاها يسألني سؤالا غريباً وكان الجواب منه أشد غرابة من السؤال : لماذا دعي صاحب الديانة المسيحية بالمسيح ؟ فأجبته بكلمة أثرية وجيزة فلم يقتنع . بل قال : لأن رجله كانت مسحاء . وأشار بيده الى رجله . ثم توكدنا بالسبابة الى خط الانحناء . والحق يقال انى استأت من التشبيه وما فيه من الاحتقار وان لم يكن مقصوداً . وعاد بي الفكر الى جده ، الى مجلس الملك حسين الذي لا يسمع فيه الزائر كلمة واحدة تكدر أو تسيء ».

ثم يقول : « سمعت بالزهائن وأنا في لحج فاستغربتها واستكرتها وكدت أنكر صحة ما سمعت . ولكن أغرب الأمور هي أقربها في بعض الاحايين الى الحقيقة . فالامام يحيى يتقاضى كل موظف

من موظفى حكومته الكبار مدنيين أو عسكريين رهينة واحدة ابناً أو أخاً أو نسيباً عزيزاً يبقيه فى حوزته كفالة الاخلاص والاستقامة فى الخدمة وضمان الصدق والوفاء . وهؤلاء الرهائن عند الامام — على ما قيل أربعة آلاف — يقيمون فى المدن المختلفة كل بعيد عن أهله ومسقط رأسه . والحكومة تعلم بعضهم وتأسر البعض وتمنح الآخرين بكفالة أحد وجهاء المدينة حرية التجول فيها .

ما هو القات

« ساعة القات عند أهل اليمن مثل ساعة الشاى عند الانجليز . ولكن القات غير الشاى . وهو حشيشهم وأفيونهم وهم يدمنونه ادمان الاوربيين الخمر . قال شاعرهم :

يا عاذل عن حصول القات مت كمداً   لا تترك القات أحياء وأمواتاً

« ان فى القات على ما يظهر خاصة الحشيش الأولى أى الكيف وشيئاً من خاصة الافيون المخدرة وبعض ما فى المسكرات مما ينبه الفكر . وبكلمة أخرى هو يطرب النفس ويخدر الحواس . ويشحذ الذهن . وأهل اليمن يعتقدون انه يبعث فيهم النشاط ويقويهم على السهر والعمل فى الليل . وقد تحقق لى انه يؤرق ويحدث فى المعدة يبوسة وانقباضاً وفى الفم جفافاً وعفوصة مثل البلوط فيطلب صاحبه الماء كثيراً . ولكنى لم أحس بشىء من الكيف أى خفة النفس . . . وكل الناس فى اليمن من رجال ونساء وأطفال يأكلون القات ويمضغونه مضغاً بطيئاً كما يمضغ بعض الامريكيين التبغ ولكنهم لا يبصقون إلا عند ما تدوب . . . ومجلس القات لا يتم بغير أباريق الماء وكئوس النحاس التى تشبه ما يستعمل فى الكنائس وقت القداس . والغريب أن أهل اليمن لا يشربون قهوة البن بل يكثرون من قهوة قشر البن الذى يغلونه كالشاى . وطعمه بدون السكر مثل طعم البابونج وهو على ما أظن مفيد إذ يقاوم فعل القات ويخفف من اضراره . . . والقات هو نبت شبيه بالبطم الا ان شجرته صغيرة وهو يزرع فى البساتين ويباع بأسعار غالية . . . ولا يبدأون بالمضغ حتى يقفلوا النوافذ ويشعلوا النراجيل فتمسى الغرفة فى تلك الساعة مثل قهوة الحشاشين فى دخانها وكربونها .



محمود سعيد : رسام نابغ

ظهرت فى مصر حديثاً طائفة من الرسامين المصريين أحدثوا بيننا نهضة فنية . ومن المبالغة أن نصف أحدهم بالعبقرية أو نصف هذه النهضة بالكمال أو حتى الاقتراب من الكمال إذ ما زلنا فى طور البدايات وما يتخلله من عثرات ومحاولات



ذو العمامة الخضراء

وللنهضة الفنية فى مصر عوائق لم تكن تعترض الرسامين فى النهضة الايطالية عند انبعاث الفن الاوربى وأول ذلك أن بلادنا عالية من تقاليد الرسم إلا القليل جداً من الرسوم البيزنطية فى الكنائس المصرية وهى رسوم فى غاية الانحطاط ثم هي رسوم مسيحية لا يمكنها أن تلهم رساماً مسلماً . فالرسام المصرى الآن يهجم على فن الرسم مجهوماً وليس وراءه تقاليد ترشده . ولعلنا لا نخطئ اذا قلنا أيضاً أن الجمهور المصرى لا يقبل على الرسم اقبال الجمهور الايطالى فى القرن الخامس عشر بحكم التقاليد أيضاً . والرسم كما هو فن يحتاج الى نبوغ وعبقرية لكى يبلغ درجة الاتقان كذلك هو صناعة يحتاج الى أساس مالى لكى يعيش . ثم نحن نعانى فى نهضتنا الفنية عقبة أخرى لم تكن أيام النهضة الايطالية وهى ظهور الفوتوغرافية فان كثيرين الآن يقنعون بالتصوير الفوتوغرافى ولا يرون حاجة الى رسم اليد

ولكن لنا الآن ميزة على النهضة الايطالية . فان هذه النهضة قامت على بواعث دينية مسيحية أو كانت الموضوعات الدينية تسودها فكانت غاياتها محدودة ولكن الرسام المصرى الآن يرى الرسم

وقد تحرر وتعددت فيه المذاهب فسحة الاختيار امامه واسعة ومجال الدرس رحب . ولهذا السبب نجد اننا مع سيات البداية في نهضتنا نرى أحياناً علامات القفز الى آخر أطوار الفن والنزعات الجديدة أو الجديدة جداً فيه مثل الرسم التكعيبي الذي استعمله أحد رسامينا في رسم بعض الاعيان المصريين

والفضل في النهضة الفنية في مصر يعود الى الرجل العامل الأمير يوسف كمال الذى أنفق الى الآن عشرات الالوف من الجنيهات في تعليم الرسامين المصريين الذين تنتفع الآن بهم وزارة المعارف والذين تعرض الآن رسومهم من وقت لآخر في معارض القاهرة

وقد رأى الجمهور في هذه المعارض أسماء جديدة لرسامين مصريين أعجب برسومهم وأقبل كثيرون من الاعيان عليها يشترونها باثمان حسنة ويزينون بها بيوتهم . ومن هذه الاسماء محمود سعيد وشعبان زكى وراغب عياد وكثيرون غيرهم


ذات القميص الازرق

ومحمود سعيد هو بلا شك أنبغ رسامينا الآن ولا نعنى بذلك أننا نرفعه الى مصف الرسامين الاوربيين بل نيس من الانصاف أن نطالبه بذلك . فاولئك كما قلنا يستندون الى سند قوى من التقاليد وقد نشأوا في وسط يؤاتيهم صناعة وفناً على النبوغ . أما محمود سعيد فقد صنع نفسه كما يقول الانجليز ونرجو أن يستمر على اتقان الصنع و يزداد اجادة علماً بعد آخر . وهو شاب في مقتبل العمر يرجع مولده الى سنة ١٨٩٧

ولذلك فالموعود من فيه يجب أن يعلو على حاضره . ونحن نرى فيه علامتين من علامات النبوغ أولاهما أنه يعنى بالتفاصيل و يجود في الصنعة و يستطيع أن ينزل على الواقع وهـــذا هو الاسلوب التقريرى . وثانيهما أنه يدرك أن الفن يجب أن يسمو على الصنعة وان الخيال فوق التقرير . فهو لا يقتصر على تقرير الواقع والنقل « الفتوغرافى » بل يتخيل و يعطيك من الصورة موضوعاً كما ترى

فى « الرسول » . ولم يتعلم محمود سعيد الرسم فى مدرسة الفنون الجميلة كما هو الشأن فى معظم الرسامين المصريين وانما تعلم الحقوق . ولكنه هــوى الرسم الذى ما يزال الى الآن مهواته يشغله فى فراغه ويحدوه الى تصفح الطبيعة فى الحقول والجبال والوجوه ويدفعــه الى زيارة متاحف اوربا التى سافر اليها عدة مرات فكرع منها وروى نفسه العطشى الى الفنون الجميلة . وفى بعض سفراته تمكن من الالتحاق فى باريس بمدرســة مشهورة للرسم فأكب فيها على الدرس

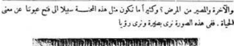
ونحن ننشر له هنا اربع صور الأولى هى « ذو العمامة الخضراء » وهى صورة قوية لا ينساها الانسان اذا رآها . أما الثانية فهى « ذات القميص الأزرق » وكل من هاتين الصورتين يدل على مهارة الرسام فى الصنعة فانه قد نزل على الواقع ولم يهمــل شيئاً فى الرسم بل هو زاد عليه واكسب الوجهين شيئاً من المبالغة فى بعض الملامح ابرازاً لشخصية كل منها

أما الصورة الثالثة فتدل على خيال الرسام فهنا نرى الفقهاء بين القبور وقد كلفوا بالقراءة على الموتى . وقد اكسب الرسام وجوههم شيئاً نسمية هنا « المزيج بين الدين والدنيا » ويبدو منه أنه أراد أن يقول أن الدنيا أهم فى نظر هؤلاء الفقهاء

فقهاء بين القبور

أما أحسن صوره فهى « الرسول » فهنا نرى رجلا شاباً قد أرخى لحيته واتخذ ملابس ساذجة . ففى اللحية والملابس نجد صورة الشرق الذى نقرنه بحكم التــاريخ والتقاليد الى النبوة . ونرى نظرة نافذة فى الفضاء هى نظرة الخيال والرجاء والقداسة ومن وراء الرسول نجد المدينة التى تعج بالأطماع الدنيوية وتتدنس بخطاياها وكأن هذا الرسول او النبى قد أولاها ظهره وهجرها . وقد رسم الرسام نفسه فى هذه الصورة عقب مرض طويل بالتيفوئيد . فلما نقه أو اقترب من طور النقه كانت خواطر الموت والحياة قد اشتبكت فى ذهنه واختمرت منها هذه الفكرة الدينية . وأى شىء فى العــالم أدعى الى التفكير فى الدين والموت

والآخرة والمصير من المرض ؟ وكثيراً ما تكون مثل هذه المحنة سبيلا الى فتح عيوننا عن معنى الحياة . ففي هذه الصورة نرى بصيرة ونرى رؤيا





الرسول

والخلاصة أن محمود سعيد رسام نابغ يجب أن نلتفت له وأن نستزيده من هذه الصور البليغة فانه يبني لنا مجداً ويخلق لنا تقاليد فنية جديدة

الافكار الاشتراكية فى بدايتها

روبرت أوين وآراؤه الاجتماعية

منذ أيام الأغريق الى الآن والفلاسفة والأدباء يحلمون بالطوبيات التى يتخيلونها لاصلاح أحوال الناس. والطوبى هى الخيال الأسمى لحال الكمال التى يتخيلها الانسان للناس يعيشون فيها فى سعادة ورغاء. وجمهورية أفلاطون هى احدى هذه الطوبيات أو الأحلام أو الخيالات

ويذكر التاريخ عدة من من هؤلاء الحالمين أو الطوبويين آخرهم ولز الكاتب الانجليزى. ومن غريب ما يذكر عنهم جميعهم بلا استثناء أنهم انتهوا فى تفكيرهم إلى الغاء حق الامتلاك الفردى للعقارات كما تقول الاشتراكية الآن. وعلى ذلك يمكن أن نقول أن الأفكار الاشتراكية قديمة جداً ولكنها لم تخرج من دائرة الأحلام إلا فى القرن التاسع عشر حين أخذت المصانع تنتشر فى أوربا وتجذب العمال من الريف الى المدن فتكدسهم تكديساً فى منازل قذرة حقيرة وتحشرهم فى مصانع سيئة البناء والتهوية والاضاءة فهذا العصر الصناعى هو الذى أشقى العمال وجعل منهم مسألة اجتماعية تلفت نظر المصلحين وتستثير نخوة الأبرار حتى دأبوا فى الدعوة الى الاصلاح وتمكنوا فى النهاية من التغلب على مساوئه العدة



روبرت أوين

وقد كانت أحوال الزراعة فى أوربا وما زالت حسنة جداً بالنسبة الى العامل فلم تكن تلفت أحداً إلى التفكير الاشتراكى ولكن أحوال الصناعة كانت فى بداية القرن التاسع فى غاية السوء. ثم أن التفاوت فى الثروة بين العامل وصاحب المصنع كان كبيراً جداً يدفع الى الدهشة والتفكير بينما هو لم يكن قط كذلك فى الأحوال الزراعية

ولذلك نرى فى بداية القرن التاسع عشر اثنين من المفكرين أحدهما فرنسى هو سان سيمون والآخر انجليزى هو روبرت اوين، كلاهما يدعو أو بالأحرى ينحو نحو الأفكار الاشتراكية التى نعرفها الآن . وقد ولد سان سيمون سنة ١٧٦٠ ومات سنة ١٨٢٥ وكان حاصل دعوته أن تمتزج التجارة أو المعاملة بين السيد والعامل بالأخلاق فلا يعمد الانسان الى أن يربح كل ما يمكنه أو أن يصنع كل ما يمكن بيعه بل يقنع بربح معتدل ولا يصنع إلا ما فيه المصلحة العامة . وهو بين هذا وذاك يرى نفسه مضطراً الى أن يرى مساوىء الامتلاك الفردى للعقارات المغلة فينحو على الرغم منه نحو التفكير الاشتراكى . أما روبرت اوين فقد ولد سنة ١٧٧١ ومات سنة ١٨٥٨ وهو الذى وضع لفظة الاشتراكية المستعملة الآن فى أوربا والذى يجب علينا أن نترجها بلفظة الاجتماعية . ولكن « الاشتراكية » خطأ مشهور الآن . وحياة روبرت اوين وأعماله تدلنا على الأسس التى قام عليها التفكير الاشتراكى فى القرن التاسع عشر



بنك نوت يبين ساعات العمل

فقد كان اوين رجلا غنياً له مصنع فى منشستر به نحو خمسمائة عامل يغزلون القطن وما زال دائباً فى عمله حتى اتسعت أعماله وراج غزله فزادت ثروته . ولكن الاثراء لم يكن همه الأكبر لأنه كان يهتم بأحوال العمال والترفيه عنهم . ولو أردنا أن نجد له شبيهاً فى أيامنا لألفيناه فى فورد الذى يؤمن بمبدأين عظيمين فى نجاح أعماله هما زيادة الأجور وزيادة البطالة للعمال . فان أوين عندما أثرى عمد الى تأسيس مصنع كبير فى نيولانارك باسكتلاندا كان به ٢٠٠٠ عامل . وكان بناء هذا المصنع قد استوفى فيه شروط الصحة والجمال . ومع أن استخدام الصبيان كان جائزاً فى ذلك الوقت وكانت أجورهم قليلة فانه رفض استخدامهم . وكان يخفض ساعات العمل إلى أقل مقدار ممكن ويزيد الأجور الى أعلى

مقدار وكان يمنح أجوراً وقت العطلة الاجبارية التى تنشأ من الكساد . وكان فى أوقات فراغه يؤلف فى اصلاح الهيئة الاجتماعية ومن أسماء هذه المؤلفات يمكن القارىء أن يقف على شىء من أفكاره . فنها « مقالات عن تكوين الأخلاق الانسانية » و « رأى جديد عن الهيئة الاجتماعية » وكانت كتاباته هذه سبباً للفت الأنظار الى الأحوال السيئة التى يعيش فيها العمال حيث بعث البرلمان البريطانى الى سن شرعة خاصة بحماية الأطفال من العمل فى المصانع

وذاعت شهرة روبرت اوين فكان بنتام ذلك العالم المتشرع الذى نقل له فتحى زغلول كتاباً الى العربية صديقه وله أسهم فى مصنعه . وزاره الغراندوق نقولا الذى صار بعد ذلك قيصراً على روسيا وكان والد الملكة فكتوريا صديقه يكثر من زيارته . وبلغت شهرته الولايات المتحدة فدعاه بعضهم الى انشاء مصنع يشبه مصنع نيولانارك فسافر اليها وأسس هناك جملة مصانع . ولكن تراكم الاعمال عليه لم يوفق له النجاح فيها

وعاد الى انجلترا فأرصد نفسه للتفكير فى الاشتراكية وحارب الامتلاك الفردى ونسب اليه جميع الشرور الفاشية فى زمنه . ورأى المموّلون أن الجمهور قد أخذ يحبه والصحف تبسط له صدورها لتكتب عنه وله فعمدوا الى مركز الاحساس وهو الدين . كما يفعل الرجعيون عندنا الآن . أو كما يفعل رشيد رضا مع المجددين المصريين . فما زالوا به حتى اتهموه بالكفر والالحاد فصد الناس عنه . ولكن الرجعيين ماتوا لا يذكرهم أحدنا الآن أما روبرت اوين فقد نقش اسمه فى صفحة تاريخ الأبرار الذين خدموا الناس

ونحن هنا فى مصر نحض الناس على انشاء جمعيات التعاون . فمن الذى اخترع هذه الجمعيات ؟ هو روبرت اوين

رأى روبرت اوين أن يقلب نظام العمل فى الهيئة الاجتماعية حتى ينحصر الربح فى العامل الذى يعمل ولا يتجاوزه الى التاجر أو الوسيط أو صاحب المصنع . فرأى أن أمثل الطرق لذلك ولتحقيق الاشتراكية أيضاً أن يعمد العمال فيؤسسون المصانع بأنفسهم لكل منهم مقدار من الأسهم ويفتحون الحوانيت لبيع مصنوعاتهم بأنفسهم ، يشترون المواد الخام للمصنع ثم يبيعونها مصنوعة للجمهور . فيتفادون بذلك تلك الأرباح الذى يحصل عليها صاحب المصنع والوسيط من عرق جبينهم. وهذه الفكرة العجيبة التى اخترعها اوين لم تحقق الاشتراكية ولن تحققها ولكنها عملت على رفع شأن العامل . وفى العالم الآن نحو اربعين مليون عضو فى جمعيات التعاون . وقد كثرت هذه الجمعيات فى انجلترا ولها رءوس أموال تقدر بالملايين من الجنيهات

وهنا يجب أن نقول شيئاً للتمييز بين « نقابات العمال » وبين « جمعيات التعاون » . لأنا رأينا كثيرين يختلط عليهم فهمهما . فالأولى جمعيات تتألف من العمال لحمايتهم من أصحاب المصانع وللعمل

لزيادة الأجور ولتقرير الأضراب ودفع اعانات للعامل وقت بطالته . ولكنها لا تصنع شيئاً وهى الآن فى أوربا هيئات سياسية تنتخب النواب للبرلمان . أما جمعية التعاون فيقصد منها الانتاج أى أن العمال يجتمعون لتأسيس مصنع أو مزرعة للبيع والشراء بأوفق الأثمان . وجمعيات التعاون ترجع الى أيام روبرت اوين منشئها . أما نقابات العمال لحديثة جداً

ومن أغرب ما فكر فيه روبرت اوين ايجاد بكنوت ترقم عليه القيمة بساعات العمل وليس بالنقود المتداولة . فقد رأى أن قيمة النقود تختلف فتزيد أو تنقص تبعاً لغلاء العروض . فالجنيه الذى نشترى به الآن نحو مائة رغيف قد لا نشترى به فى الغد سوى ٩٥ رغيفاً . وقد نشترى به ١٠٥ أرغفة . فاخترع بكنوتا يبين زمن العمل بالساعات . والساعة لا تتغير فى أى وقت . ويرى القارىء هنا على البكنوت الذى نشر باسمه هذه العبارة : « سلم حامله بضائع بدلا من قيمة عشرين ساعة بأمر روبرت اوين »

وبالطبع لم يفلح هذا البكنوت على أن فشله ليس برهانا على أن نقودنا التى تتعامل بها حسنة وقد رأينا مدة الحرب كيف نزلت هذه النقود الى نصف قيمتها فى الجنيه المصرى والى الصفر فى المارك الألمانى . والمسألة ما تزال فى الطريق الى الحل

وبقيت الأفكار الاشتراكية تتردد فى الأوساط الأوربية الى أن جاء كارل ماركس فاستطاع أن يجعلها مذهباً معقولا ويجعل المبادىء الاقتصادية الأساس الذى يفسر به التاريخ ليس تاريخ الماضى وحده بل تاريخ الحاضر والمستقبل أيضاً . وكان ماركس للاشتراكية كما كان داروين للتطور



خواطر الشهر

الرجل الفاضل

من أجمل ما قاله برنارد شو ان الرجل الفاضل هو الذى لا يحاول أن يأخذ من الحياة اكثر مما يعطى

وقد وصف أحدهم هذا التعريف للرجل الفاضل بانه تعريف ثورى ولكنه مع ذلك حق. وهو ثورى من حيث انه يجعلنا ننظر لعظماء العرف والعادة ونتساءل هل هم عظماء اذا قسناهم بهذا المقياس؟ فان كثيراً منهم يأخذون من الحياة اكثر مما يعطون أو بعبارة أخرى هم فى الغالب مستهلكون وليسوا منتجين

وكل منا فى الواقع يجب أن ينتج كما هو مضطر الى أن يستهلك. ولكن اذا كان استهلاكه يزيد فى القيمة على انتاجه فهو خسارة على الأمة بل خسارة على العالم كله لأن ثروة العالم تنقص بوجوده فهو دين حى يدأب العالم فى تسديده حتى يموت. وقد يضطر الانسان الى أن ينزل هذه المنزلة بالمرض أو الفقر الذى يقع فيه على الرغم منه. فهو فى هذه الحال غير مسئول عن بقائه بين الناس بمثابة العبء عليهم. وقد يكون كذلك ويكون مع ذلك فاضلا. ولكن هذا الفضل يذهب عنا جميعا اذا نحن حاولنا أن نستهلك اكثر مما ننتج وننزل باختيارنا هذه المنزلة التى ينزلها المضطر بالمرض أو الفقر

فالرجل الفاضل يجب أن يعيش وهو يعطى الناس بانتاجه وكد ذهنه او كد ذراعه اكثر مما يأخذ منهم. ويجب أن يموت وهو يترك العالم بكده اغنى ولو قليلا جداً مما كان يوم ميلاده. اما ذلك الذى يعيش والعالم يعوله بطعامه ولباسه ومسراته فانه يموت وقد خلف وراءه تركة خاسرة تحتاج الى التصفية. والهيئة الاجتماعية هي التى تقوم بهذه التصفية وهى التى خسرت بحياته وربحت بوفاته

والانسان فى حساب النظم الاجتماعية والاقتصادية لا يختلف من أية آلة أخرى من الحديد. اذ هو يؤدى خدمة ما للناس كما تؤديها الآلة. ولكن العادة السارية بيننا اننا عندما نجد ان آلة من الآلات تستهلك من الوقود اكثر مما تنتج من الفائدة نعمد اليها فنبيعها «خردة» ونشترى غيرها جديدة

واذا كانت الهيئة الاجتماعية لا تستطيع أن تفعل بنا ذلك لقداسة الحياة الانسانية فمن الفضل أن نحس نحن بمركزنا نحوها وأن تأبى علينا كرامتنا أن ننزل منها بمنزلة «الخردة» من الآلات وألا نتوانى فى خدمتها حتى يكون انتاجنا اكثر من استهلاكنا وبمثل هذا وحده نكون فضلاء

س. م.

قيود وأغلال

اراد كليمنصو فى أول هذا القرن أن يصور عبث الناس بعضهم ببعض، وخداعهم بعضهم لبعض، وما يصطنعون فى صلاتهم الخاصة والعامة من ضروب النفاق والغش والتضليل. فوضع قصة تمثيلية من فصل واحد سماها «نقاب السعادة». ووفق الى الاجادة فيها كل التوفيق. فأدرك الغرض الذى كان يرمى اليه فى رشاقة لفظ وحلاوة أسلوب وخفة روح. وبصر بحاجات الناس ومقدرتهم على احتمال الحق واساغته. ولكنه مع هذا كله لم يظفر برضى الناس فضلا عن اعجابهم ولعله تعرض للسخط والهزيمة ولعله أوشك أن تنال قصته بالأذى. فقد مثلت هذه القصة فى سنة ١٩٠٠ فى بعض ملاعب باريس فلم يحفل الناس بها ولم يثن عليها النقاد إلا ثناء يسيراً مصدره فى اكبر الظن مكانة الكاتب فى الأدب والسياسة والاجتماع. ثم مثلت بعد ذلك بعشر سنين فلم يكن حظها فى المرة الثانية خيراً من حظها فى المرة الأولى. ونشرتها فى هذه الايام مجلة الاللستراسيون بمناسبة موت كليمنصو وما نظن الا أن الناس سيقرؤنها فى فتور كما شهدوا تمثيلها فى فتور. وآية ذلك أن مجلة الاللستراسيون تركتها ثلاثين سنة ولم تنشرها الا بعد أن مات صاحبها مع انها تنشر من القصص التمثيلية الجيد والردىء والقيم والسخيف. ومع هذا فقد احتاط كليمنصو فى قصته احتياطاً كثيراً. فزعم أن حوادثها تقع فى الصين لا فى باريس ولا فى فرنسا ولا فى اوربا ولا فى بلد من هذه البلاد التى تتصل بالفرنسيين اتصالا قريباً أو بعيداً. واتخذ الرمز سبيله فى هذه القصة فلم يصارح الناس بأنهم منافقون أو مخادعون. ولم يعرض لنظام بعينه من نظمهم السياسية والاجتماعية، وانما تصور رجلا من أغنياء الصين وأشرافها كف بصره فاحتمل محنته هذه سعيداً مغتبطاً لأنه لم يكن يحس من حوله الا اخلاصاً ووفاء وعناية به وحرصاً على ارضائه. كان يحس من أصدقائه مودة لا تشبهها مودة وكان يحس من ابنه براً لا يقاربه بر وكان يرى زوجه المثل الأعلى للعفة والوفاء والاخلاص على جمالها الجسمى والنفسى. وكان شاعراً بارعاً فى الشعر. وقد عرض عليه بعض الاطباء الاوربيين أن يرد الى عينيه ملكة الابصار. فقبل على شك شديد وتردد كثير لأنه لا يثق بالأوربيين ولا يطمئن اليهم وتحدث الى صديق من أصدقائه فى ذلك فشاركه فى الشك وحذره الأوربيين لأنهم جنود الشيطان. على انه قبل عرض الاوربى مستيئساً وكتم قبوله هذا عن اكثر من يليه من الناس

ونحن نراه فى اثناء القصة سعيداً مغتبطاً يتغنى بما قدمنا من وفاء أصدقائه له وبر ابنه به وتضحية أمرأته فى سبيله ونراه مستمتعاً بحظه من السعادة حتى انه ليحب أن يشاركه فيه الناس جميعاً. ويدخل عليه بائس قد قضى بنفيه وهو يسير الى منفاه ذليلا مهيناً يعذبه الجوع فيعينه بالل

والكسوة متعرضاً بذلك لسخط الحكومة . وقد أراد الله أن يتم عليه نعمته وينتهى به من السعادة الى أقصاها فيصل اليه رسول الامبراطور يحمل اليه الهدايا والتحف ولقباً جليلا لأن الامبراطور قد اطلع على ديوان من دواوينه فأكبره وأمر أن يقرأ فى جميع أقطار الدولة وعطف على صاحبه فأجله وكرمه وأعطاه . وصاحبنا ناعم البال طيب النفس يشرك أصحابه فى سعادته فيشرب ويسقيهم ويغنى لهم لذة العيش وجمال الطبيعة وبهجة الحياة ويغلبه الشراب فينام . ويتفرق عنه أصحابه حيناً ثم يفيق من نومه وقد نجع دواء الأوربى فسقط عن عينيه النقاب فهو يرى الأرض والشمس والسماء ويرى ما حوله وهو دهش لهذه المعجزة وهو لا يكاد يملك نفسه فرحاً واغتباطاً . ولكنه يرى رجلا يتسلل الى داره ويسرق بعض ما فيها من نقد ومتاع . وهذا الرجل هو البائس الذى أعانه صاحبنا بالمال والكسوة وتضرع الى الامبراطور حتى عفى عنه . ولكن صاحبنا سعيد فهو يدع هذا الشقى وما أخذ . على انه يسمع صوتاً فينهض وينظر فى حجرة تليه فاذا هو يرى ابنه قد أخذ يقلد أباه فى حركاته المضطربة ، ساخراً منه هازئاً به ، واستاذه يشجعه ويذكيه . ثم ينظر فاذا كتاب امامه لا يكاد يحدق فيه حتى يعرف ديوانه الذى أجازه الامبراطور من أجله وقد نشره بعض أصدقائه وزعم انه شاركه فى انشائه . فانظر اليه وقد أفسدت كل هذه الأشياء سعادته وغبطته . فهذا صنيعه يسرقه وهذا ابنه يسخر منه وهذا صديقه يخونه فى ديوانه ولكنه على ذلك كله سعيد . فقد بقيت له امرأته وهو يسرع الى حجرتها فاذا هى مغلقة واذا هو يحس فيها . شيئاً فاذا استرق النظر رأى امرأته نائمة مع صديق له آخر فيفقد صوابه أو يكاد ثم لا يلبث أن يذكر أنه كان مكفوفاً وكان سعيداً وان شفاءه من هذه الآفة انما هو أثر لذلك الطبيب الاوربى . أليس الأوربيون جنود الشيطان ؟ أليس هذا الاوربى الذى رد اليه البصر قد سحره وخيل اليه ؟ بلى ان كل ما يراه سحر من عمل الشيطان فلم يسرق البائس ولم يسخر الابن من أبيه ولم يخن الصديق صديقه فى ديوانه ولم تأثم المرأة فى عرضها كل هذا سحر ويجب أن يزول وأى شىء أيسر من زواله . لقد كان الطبيب الأوربى حدثه أن قليلا من دوائه يرد البصر وأن كثيراً من هذا الدواء يذهب به . فما أسرع ما يهوى صاحبنا الى الزجاجة فيصبها فى عينه واذا صيحة تتبعها ظلمة منكرة قد أسدلت على عينى هذا الرجل فعاد مكفوفاً كما كان وهو يدعو اليه أصحابه وامرأته فيقبلون مبتسمين عابسين به كما كانوا يعبسون به من قبل ويتلقاهم هو راضياً سعيداً لأنه لا يحس منهم الا ما يحب . وهو يتناول عوده فيغنيهم كما كان يفعل منذ حين لذة العيش وجمال الطبيعة وبهجة الحياة

لم تظفر هذه القصة برضى الناس فضلا عن اعجابهم وقد تكلف النقاد فعللوا هذا الاخفاق بأن فى القصة طولا هو بالخطابة أجدر منه بالتمثيل . ولكن التعليل الصحيح فيما يظهر هو ان هذه القصة لم تلائم هذا « الطاغية » الذى يتسلط على الأدب والأدباء فى كثير من الأحيان فيفسد عليه وعليهم كل شىء . وهذا « الطاغية » هو الذوق العام . فليس يكفى أن تنظم الشعر فتجيده أو تكتب

النثر فتحسنه أو تضع القصة فتتقن وضعها لترضى الناس . وانما يجب مع هذا كله بل قبل هذا كله أن ترضى الذوق العام وبعبارة أدق أن تتملق الذوق العام لترضى الناس . وليست الاجادة الفنية وحدها وليست اصابة الحق وحدها تكفى لارضاء الذوق العام بل يظهر أن شيئاً من تملق بعض العواطف والميول ، شيئا من النفاق الأدبى بعبارة صريحة ، ضرورى ليرضى الذوق وليعجب الناس . آية ذلك أنا نعجب الآن بطائفة من الكتاب والشعراء والفلاسفة كرههم معاصروهم كرهاً شديداً فأهملوا بعضهم اهمالا وآذوا بعضهم ايذاء وقضوا على فريق منهم بالموت . فاذا التمسنا الأسباب التى اضطرت الناس الى أن يهملوا هؤلاء الكتاب والشعراء والفلاسفة أو يؤذوهم أو يقتلوهم فلن نجد إلا سبباً واحداً هو النفور بين الشخصيات الفردية القوية ونفوس الجماعات وما كان يصورها من ذوق عام

هذا المفكر يرى فى الدين رأيا لا يلائم الجماعة فتنكره ثم تقاومه ثم تؤذى صاحبه ايذاء يلائم مزاجها من جهة ومقدار ما بينهما وبين هذا الرأى من التنافر من جهة أخرى . وهذا الشاعر أو الكاتب يذهب فى الفن الشعرى أو النثرى مذهباً جديداً فتنكره ثم تقاومه مقاومة تختلف قوة وضعفاً باختلاف مزاج الجماعة وما بينه و بين المذهب الجديد من تنافر

بعض الكتاب والشعراء والمفكرين يؤثرون الراحة والعافية فيماشون الجمهور و يظفرون برضاه وبعض الكتاب والشعراء والفلاسفة يؤثرون شخصياتهم أول الأمر فاذا أحسوا مقاومة الجمهور ضعفوا وأذعنوا اذعانا تاما أو اذعانا فيه شىء من المهارة والمداورة . أولئك وهؤلاء يتبعون الجماعة فهم ظلالها . وقليل جداً من الكتاب والشعراء والفلاسفة يؤثرون شخصياتهم فاذا أحسوا مقاومة الناس لم تزدهم هذه المقاومة الا قوة وشدة فتكون الحرب بينهم و بين الجماعة . وتختلف حظوظهم من الفوز والهزيمة باختلاف الظروف المعاصرة لهم ولكنهم ينتهون فى أكثر الأحيان الى فوز محقق تظفر به آراؤهم ومذاهبهم بعد أن تذهب أشخاصهم و ينساهم الناس

فانت ترى أن حرية الأديب أسطورة من الأساطير وان من الاسراف والغرور أن ينظر اليه كما ينظر الى الرجل الذى يستمتع بحرية كاملة أو شبيهة بالكاملة . فقد رأيت فى غير هذا الحديث أن الأديب مقيد فى الانتاج الأدبى نفسه بمزاجه وطبيعته فهو لا يقدر على أن ينتج ما تريد وانما هو ينتج ما يستطيع وأنت ترى الآن أنه قلما يستطيع اذاعة كل ما ينتجه وانما هو مقيد فى ذلك بالبيئة التى يعيش فيها أو بالذوق العام وأنت تعلم أن هناك سلطانا آخر يقيد الأديب و يغله فى الانتاج واذاعة ما ينتج وهو سلطان الحكومة تهيمن على حماية المظاهر العامة للحياة الاجتماعية كالدين والأخلاق والنظم المختلفة . أفبعد هذا كله تذكر حرية الأدباء فى الانتاج والاذاعة دون أن تقترن بهذا الذكر ابتسامة ملؤها السخرية والاشفاق ؟ ليس الأدباء أحراراً وانما هم مغلولون ومن يدرى لعل من هذه الأغلال ما يحمى الأدباء أنفسهم و يحمي الجماعات من شر كثير فليست الحرية كلها وليست الأغلال كلها شراً

طه حسين

ما هى الفلسفة ؟

كثر تساؤل الناس عن معنى الفلسفة .

والمتبادر الى الذهن أن الفلسفة هى فقه الحياة وادراك شئونها . واذا نظرنا الى تحليل لفظها فهو معرب عن كلمتين يونانيتين . هما : « فيلو — سوفى » ومعناها : محبة الحكمة

ذلك تفسيرها المعروف ، ولكنى أردت استقصاء معنى الفلسفة فى الكتب الأدبية لأكبر الباحثين فيها فوجدت لها تعريفاً أعم ووصفاً أدق وبياناً أبلغ ، جاء به الاستاذ الفيلسوف ويبر فى كتابه الوافى عن الفلسفة الأوروبية الحديثة

ولا غرو أن يكون ذلك البيان أوفى مما سبقه فهو خلاصة ما انتهى اليه البحث فى هذا الموضوع .

ولقد آثرت ترجمة هذا البيان عن الفرنسية ، اتحافاً لقراء العربية :

« الفلسفة هى بحث الحياة . والنظر الجامع فى الطبيعة . وهى علم المعارف العامة

« وهى مع ذلك خلاصة العلوم وصفوتها

« وهى علم عام ، مع كونها ، فى آن واحد ، فناً خاصاً يمتاز عن هذا العلم ، ويتألف من مجموع قوى الفكر الانسانى . باعتبار هذا الفن فرعاً مستقلاً عن اخويه البكرين : الدين والشعر

« والفلسفة بالنظر الى مختلف العلوم التى موضوعها تحديد الأشياء ، وغايتها تعليل الأسباب ، وتكوين الشرائع المؤثرة فيها : هى جهد العقل البشرى فى أسمى مواهبه وفى أعلى درجات ارتقائه

« وهى العمل أو الظاهرة الكبرى لادراك العالم أجمع

« وبتعبير آخر : الفلسفة هى العلم الذى نستطيع به الاجابة على أصعب الأسئلة فى صميم العلوم : لماذا وجد هذا العالم ؟ وكيف انشىء بالحالة التى هو عليها ؟ والاجابة أيضاً على السؤال الآخر المقابل : ماذا أستطيع أن أعمل ؟ وكيف كان العلم ؟ وما هو الوجود وما يحيط به من غرائب ؟ وما هى المعارف وشروطها وطرائقها ؟

« هذا هو موضوع المباحث الفلسفية »

حسين الجمل

هذه الالقاب فى مصر!

فى بيئتنا المصرية ذوق اجتماعى مضطرب ليس سهلا عليك أن تقف عند حدوده وقفات سامحة وليس سهلا عليك أن ترضاه رضاء مخلصاً . والطبقة الجديدة المثقفة يؤذيها هذا الذوق فتشكوه ، لكن الى نفسها ، شكوى خافتة أو جهيرة يرتفع فيها الصوت حول اضطراب الأزياء مرة وحول العادات مرة . لكننى هذه المرة أريد أن أرفع الصوت ضد هذه التشكيلة العريضة من الألقاب التى تكاد مصر تنفرد وحدها بين بلاد العالم المتمدن بتعددها واختلافها . فأنت حيث تسير بين الجماعات لمصرية لابد موطد نفسك لأن تسمع أو لأن تقول بين كل لحظة ولحظة — افندى — بك — باشا — صاحب عزة — صاحب فضيلة — صاحب سعادة — وأنا لم أستطع ولعلى لن أستطيع أن أتفهم ما هى المدلولات التى تدل عليها هذه الألقاب فى عصر كهذا العصر أصبحت قيمة الانسان كلها فيا يعمل وفى مبلغ اقتدار نفسه على ما يعمل

نحن إذا نظرنا إلى الحقيقة السافرة فى الحياة نجد أن الافندى الطبيب أو الكاتب أو المحامى الذى نبغ فى عمله نبوغاً ما ، أحس به الناس هو عند الناس أكبر قيمة من بيك ومن باشا لم يحس الناس أثراً لقيمته فى نفوسهم ، وليس شك أن كلا منا لا يخلو نفسه من بعض أسماء غير قليلة من طبقة الباشوات والبيكوات ومن بعض أسماء غير قليلة أيضاً من طبقة الأفندية لوجئنا بهؤلاء وهؤلاء الى مقياس عملى أو اجتماعى صريح لارتفعت الأسماء الثانية فوق الأسماء الأولى ، بل أن الديمقراطية أو الروح العملية التى يأخذ الناس فى طريقها الآن لتضطر غير قليلين من أصحاب الألقاب أن يشغلوا مناصب مرؤوسة لمنصب رجل ليس له حظ من ألقابهم راضين مؤمنين معنا بأن قيمة الانسان فيا يعمل وفى اقتدار نفسه على ما يعمل . فان كان هذا كله حقاً وهو حق يشعر به الناس كلهم أو يجبرون اليوم مع ما نحن فيه من تطور اجتماعى أن يشعروا به شعوراً غير ضئيل . . وان كان الناس جيماً فى انحاء العالم المتمدن كله مصطلحين على لقب واحد — الا فى بعض الأقليات التى تحمل ألقاباً تاريخية — ينادون به بعضهم بعضاً ، ففى فرنسا وفى انجلترا والمانيا وايطاليا وغيرها كل رجل لقبه «سيد» وكل امرأة «سيدة» ، واذا كنا نحن نشترك مع العالم كله فى تلقيب النساء عندنا أليس غريباً أن نحرم الرجال من النزعة الديمقراطية الجديدة التى ترمى الى ناحية من التوحيد بين الناس فى هذه المظاهر ؟!

إن المرأة المصرية حرم وزير كانت أو حرم خفير ، بنت عظيم كانت أو بنت غير عظيم ، مهما تكاثر احترامها فى قلبك ومهما بالغت من احترامها فى حديثك فأنت لست بمستطيع إلا أن تخاطبها بلقب

« السيدة » والسيدة لا أكثر ولا أقل . وما دامت هناك حركة لمساواة المرأة المصرية بالرجل المصرى استمتاعاً بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والأدبية فان الواجب يحتم علينا أن تنادى بمساواة الرجل المصرى بالمرأة المصرية استمتاعاً بلقب السيادة والسيادة لا أكثر ولا أقل لكل رجل من رجالنا بحيث تتوحد هذه الألقاب الكثيرة وهـذه النعوت الرمزية المتعددة للرجال فى لفظة « السيد » كما اجتمعت صفة المصريات فى لفظة واحدة هى « السيدة »

أفهم جيداً أن طبقة من طبقاتنا سوف لا تعجبها هذه الدعوة ولا هى ترضاها . لكنى أحب أن تجىء معنا هذه الطبقة الى حساب غير عسير

« افندى » كلمة تسربت فى لفظها وفى معناها الى اللغة التركية من اليونانية واستعملها الأتراك السابقون كلقب إضافى من هذه الألقاب الشرقية القديمة المتعددة التى كانت نصيباً لكل رجل من رجال الدولة ، فكانوا يقولون — باشا افندى — افندى بك — هانم افندى — على أن هذا التلقيب ان كان مستساغاً عند الأتراك السابقين فانه أصبح غير متذوق حتى عند الأتراك أنفسهم فى الوقت الحاضر . ودخلت هـذه الكلمة الى مصر كلقب رجالى مع الأتراك . أقصد مع هـذه السراويل الواسعة والعمائم الضخمة والصدريات الحمراء المزركشة بالقصب والسيوف المقوسة المدلاة من مناطق الرجال ، على أن شيئاً من هذا كله ليس له اليوم أثر ولا شبه أثر فى الحياة المصرية الحاضرة . . واذن فان قيمة هـذا اللقب زالت ، بل انى أحب أقول أن طعم هـذا اللقب أصبح غثاً مريراً لا يتذوقه الآن إلا اولئك الذين يتعلمون لبس الطربوش بعد الطواقى والعمائم . أما هذه الطبقة التى كانت تعرف الأفندية الصحيحة قبل عشر سنوات فات فانها تنزع اليوم الى احتلال لقب البكوية

على أن « البكوية » أيضاً لقب غير مصرى جاءت به دولة المماليك الثانية الى مصر ، فهو أول ما يدفع من الذكريات الى أذهاننا — نحن الذين تعطش الى الحرية — انما هى المظالم والعبودية اللتين كان ينكب بهما الفلاح أو المصرى الصميم قبل قرنين من الزمان . فالبكوات هم اولئك الذين كانوا يملأون كفوفهم بالكرابيج يحملونها ملوحين بها فى وجوه الناس شمالا ويميناً . فاذا ضاقت نفوسهم بأزمة من أزمات النفس فرجوا عن هذه الأنفس الظالمة بعمل هـذه الكرابيج على ظهور الفلاحين المصريين . . وليس شك أن لقباً يحمل فى تاريخه أحرفاً دموية من ذل أسلافنا لابد أن يكون لقباً بغيضاً الينا . . هذا كله زيادة على أن واحداً من المصريين لم يعد يلفظ بهـذا اللقب فى لغة التخاطب كما كان ، انما تحولت لفظة « بيك » الى « بيه » فأنت ترى من ناحية ثانية أن لقب البكوية الاصلى هو اليوم بالنسبة الينا كلغة القبائل العربية التى عاشت فى أرض الجزيرة منذ ألفين من السنين بالنسبة الى اللغة التى نكتبها فى القرن العشرين . ثم أن هذه « البكوية » — ككل الألقاب عندنا — يتبعها نعت أو ذيل آخر هو « صاحب العزة » وأنت ان كنت تستثقل هذه العادة الشرقية المتكلفة عندنا عن

الأتراك فى تذييل كل مقطع من مقاطع خطابك الى ذوى الألقاب بصاحب كذا — مع ان الناس فى العالم المتمدن كله يستطيع الواحد منهم أن يخاطب صاحب اللقب من الالقاب الأثرية الباقية هناك بذات اللفظ الخطابى الذى يخاطب به المجموعة الغالبة التى تستمتع بالمســاواة — فأنت أكثر ما تستثقل هذا التكلف فى نعت «صاحب العزة» . ذلك أن صاحب العزة كلمة فارغة عارية عن الوجاهة لفظاً ومعنى ، زيادة على أنها لفظة لا تصريف لها فى لهجة تخاطبنا أو أن لها على الأصح تصريفاً بارداً ثقيلا على كل لسان

مثل «صاحب العزة» عندى «صاحب الفضيلة» أيضا كلاهما لا يفيــدان فى مدلولها شيئاً ، فالرجل إما أن يكون صاحب عزة من تلقاء نفسه واما ألا يكون ، و إما أن يكون صاحب فضيلة من تلقاء نفسه و إما ألا يكون . . ونحن ان كنا نستسيغ نعتاً كصاحب السعادة تخاطب به فئة قليلة من الدنيا كلها حازت لوناً من ألوان المجد والعلا ، ونحن ان كنا نستسيغ نعتاً كصاحب السماحة تخاطب به فئة أشد قلة من السادة الروحيين فى الدنيا كلها ، فنحن لا نستطيع ان تتذوق هذه النعوت الباقية كلها بل النفس المصرية ينبغى أن تعف عن أن تتذوق هذه النعوت من مثل صاحب العزة وصاحب الفضيلة

ربما فكرت فى اتهامى بأن هذا كله سابق لوقته وأن الناس يبدو أنهم راضون عن هذا كله لا تسمع لهم فيه شكوى . لكن الواقع أن المجتمع المصرى الجديد أصبح اليوم وليس فى نفسيته متسع لهذه الألقاب والنعوت كلها . ولكن الواقع أن طبقة الأفندية الصحيحة لم تحاول النزوع الى صفات البهوية إلا لأنها أصبحت تمج لقب «الأفندى» القديم الممقوت . لكن الواقع لا يعترف كثيراً بلقب صاحب العزة وصاحب الفضيلة حيث لا تكاد تسمعها فى لغة التخاطب إلا نادراً . . واذن فان سنة الانتخاب الاجتماعى تريد أن يتخلص المجتمع المصرى من هذه النعوت التى تزيد الفروق بين الناس فى وقت تسعى فيه الانسانية كلها لأن توحد بين طوائفها جميعاً الى درجة معقولة . . وليس مما يشرف الرجل المصرى أن تكون المرأة المصرية أكبر حظاً منه فى هذه الناحية من التقدم خطوة نحو المساواة الممكنة بين الطبقات . . فالصوت الذى أرفعه الآن هو صوت الذوق الاجتماعى الذى يتمثل فى الشباب

حسن أن يبقى بعض الألقاب وتبقى لهذا البعض من الألقاب قداسته لفئة قليلة من الطبقة الخاصة تمثل لنا شيئا من مظاهر المجد فى الحيــاة . لكنى أحب أن تكون هذ الفئة من القلة بحيث تختص بلقب تاريخى واحد ونعت واحد وصفات الى هذا كله واحدة . أما الأمة ، الأمة بما فيها من رؤوس وما فيها من وجوه وأعيان و بما فيها من الأيدى الحاكمة والأيدى العاملة ينبغى أن تجىء كلها سواسية الى اختيار لقب واحد يحوزه الجميع

حافظ محمود

لا تخشوا الخطأ

من أبدع ما قاله فورد أن الخطأ حقيقة سلبية . يعنى بذلك أننا عندما نعمد الى احدى التجارب فنجربها ثم نجد أننا اخطأنا فاننا نقع بخطأنا هذا على حقيقة هى أن هذه التجربة خطأ لن نقع فيه بعد ذلك . فهى من هذا الاعتبار حقيقة سلبية

وفورد رجل يعتمد على التجارب وما يزال يمارسها حتى يهتدى الى الحقيقة الايجابية التى يعمل بها فى مصانعه التى تستعمر العالم الآن استعماراً سلبياً قهرياً

واذا نحن تأملنا حياتنا ألفيناها سلسلة تتسرد حلقاتها من اخطاء نحاول أن نؤالف بينها حتى نقع على الحقيقة والاستقرار كالماشى على قدميه انما هو يعتدل فى مشيه بأن يميل الى الجانب الايمن ويكاد يقع فيعود ويميل الى الايسر ثم يعود الى الايمن وهلم جرا . فكأن المشى هو الاعتدال بين محاولات كلها عرجاء

بل نحن فى حقائق الحياة والدنيا نفرض فروضاً نعتقد أنها حقائق ونسعى لها بجدنا واهتمامنا وهى ليست فى الواقع سوى فروض تشبه فروض الجبر التى نفرضها لكى نصل بها الى نتيجة المسألة . والفرق بين الاثنين اننا فى الجبر نعرف اننا نفرض فرضاً خطأ واما فى الحياة فاننا نتخدع بأوهام نظن أنها الحقيقة النهائية وهى ليست فى صميمها سوى فروض لا تزيد عن الفروض الجبرية

ولكن هذه الفروض الجبرية يجب أن تفتح أعيننا لكى نقدر الخطأ ونعرف قيمته ولا نخشاه لانه كما يقودنا فى المسائل الجبرية الى الحقيقة كذلك تقودنا التجربة الخاطئة فى الحياة والدنيا الى الحقيقة

فلنكثر من التجارب فى العلوم والآداب والاجتماع . بل يجب أن نتجرأ وأن تكون لنا تجارب حتى فى الدين والعقيدة فان العلوم تقدمت بالتجارب وتحدى التقاليد فلماذا لا يكون هذا التقدم أيضاً مضموناً لنا بمثل هذه التجارب فى الآداب والاخلاق والاجتماع والدين؟

أن الاوربيين جربوا ونجحوا ولم يمنعهم الخطأ يتلو الخطأ من تجديد التجارب وكانت تجاربهم برهاناً على حيويتهم . وبهذه التجارب استقروا واهتدوا الى حقائق اجتماعية منها حرية المرأة والحكومة البرلمانية والحضارة الصناعية ونحوها

فلنفعل فعلهم لكى تنجح نجاحهم

س . م .

مناهج التدريس فى بعض الكواكب الاخرى

خلاصة لكتاب انجليزى حديث عن التربية

لم أسمع باسم هذا الاستاذ — وهو المستر بورنز — قبل الآن ولكنى قرأت له كتيباً فى التربية أسماه «أحلام فى التربية». وهو أشبه بالقصص والاساطير والروايات منه بكتاب فى التربية والتعليم

والكتاب فى نفسه سهل المأخذ بسيط الى درجة كبيرة فيستطيع الانسان العادى أن يقرأه بلذة وشوق كأنه يطالع بعض الأساطير اللذيذة. والواقع أن الكتاب موضوع فى الأصل للقارىء العادى الذى لم يكن له حظ كبير من علوم التربيــــة والفلسفة وما أشبه. ثم ان اسلوبه طريف على نوع ما لم يسبق الكاتب اليه سابق. فبساطته وطرافته مما يغرى الكثيرين بمطالعته. ثم ان واضع مقدمته هو الدوس هكسلى حفيد هكسلى العظيم

بدأ الكاتب بأن تخيل أن مؤتمراً للتربيـة عقد فى احدى بقاع الأرض. وكان المؤتمرون فيه من كثير من الكواكب السيارة التى تحيط بعالمنا هذا. إذ تكرم كل كوكب بأن أرسل ممثليه الى هذا المؤتمر من سيدات وأوانس الى سادة وشيوخ ومن هم مثلنا الى مخلوقات اخرى ليس لها مثيل فى مخيلتنا منها الذكر ومنها الانثى. ومنها الذكر والأنثى فى مخلوق واحد. كل هؤلاء اجتمعوا ليأتمروا بالتربية والتعليم ويقارنوا المناهج والعلوم

وتكلم الرئيس — وكان أرضياً مثلنا — فأتى بقذلكة من تاريخ التعليم فقال انه بدأ على انه اداة ليس غير — اداة لتعليم ثلاث مواد: المطالعة والكتابة والحساب. فغرضه اذن متواضع جداً وأحرى بمثل هذا الغرض أن تكون اداته شيئاً أقل قدراً من التعليم والتربية. فما أسوأ حظهما اذا لم يكونا شيئاً سوى اداة لتعليم هذه المواد الثلاث

وفى رأى الرئيس أن للتعليم غرضاً آخر أشرف من هــــذا وأجل قدراً. يجب أن تكون أغراضه أربعة: الفلسفة وعلم النفس والسياسة وعلم وظائف الأعضاء. اذ أن على مقدار فهم الانسان لهذه النواحى من الحياة يتوقف كثير من سعادته فى دنياه ونفعه للانسانية. ويقصد الرئيس من قوله هذا أن الانسان تكون حياته هباء فى هباء اذا لم تكن متصلة اتصالا وثيقاً بحياة الآخرين واذا لم تكن قوية فياضة سعيدة ومليئة بالمعانى. وليس يستطيع الانسان أن يحيا حياة كهذه من غير أن يكون له قسط وافر من فهم الجماعة والأحوال الاجتماعية ومفتاح هذه الناحية من الحيــــاة هو فى هذه العلوم الاربعة

وحتى هذا لم يعجب انسان المريخ (Mars). فما هى الفلسفة وما هو علم النفس وما هذا أو ذاك حتى يكون غرضاً للتعليم؟ كلا. ان التعليم والتربية لأشرف من أن يكونا اداة لمثل هذا الغرض. يجب أن يوضع التعليم للاخلاق والوطنية (Character and Citizenship) ثم ان هـذا المخلوق يصر على أن يكون علمياً فى كل خطوة يخطوها. هو يرفض أن يدرس التاريخ مثلا لأن المدارس نشأت على أن تدرس التاريخ. كلا. لن يفعل هذا. وانما يريد أن يستقصى الامر بطريقة علمية ويتثبت من الموضوع. فيتساءل لماذا ندرس التاريخ مثلا؟ وماذا يحدث لو لم ندرسه؟ وهكذا الى آخر هذا التساؤل

ثم يعقد مقارنة بين تربية الأطفال وبين بعض الصناعات الأخرى فيقول لقد سمحنا للعلم أن يتدخل فى كل مشروعاتنا ولا نقبل أن نخطو خطوة واحدة فى أعمالنا ما لم يكن العلم رائدنا وقائدنا ففى مصنع الاحذية مثلا نمتحن الجلود ونختبرها بالطرق العلمية لنرى من أين أتت؟ وهل هى من النوع الخشن أم الردىء؟ وهل كانت الحيوانات التى أخذناها منها سمينة أم هزيلة؟ وهكذا. فلماذا لا نفعـل ذلك مع أطفالنا؟ لماذا لا نبحث فى بيئاتهم وعائلاتهم؟ لماذا لا نستقصى تاريخهم ومنشأهم لنرى هل المنبت مما يساعد على نمو الاطفال نمواً طبيعياً أم هم معرضون لكل أنواع الامراض الجسمية والاجتماعية والخلقية. فالمدرسة كالمصنع سواء بسواء. فمصنع الأحذية مثلا يبدأ بالجلود وينتهى الى الأحذية ومثله المدرسة فهيا تبدأ بالطفل وتنتهى بالرجل. وكما اننا نستعمل كل العلوم فى صنع الأحذية، كذلك يجب أن نفعل مع الأطفال. الى ان قال:

«لقد ضحكت أيها السادة، واستلقيت على قفاى من الضحك. لقد كنت أقطع الوقت فى أثناء عبورى من المريخ الى هنا بمطالعة شىء عن أنظمة التعليم فى القدم. فاستوقفنى منها نظام البكالوريا يا للسخافة تلك الدنيا التى كانوا يجعلون البكالوريا مقياساً لكفاءات الأولاد فيها. حقاً لم يكن وباء الحمى القرمزية شراً من ذلك النظام فى تلك العصور المظلمة والعوالم المتأخرة».

ولا بد أن يكون لكل طالب فى المريخ فرصة يسيح فيها لمدة سنة كاملة حتى يرى الشعوب الاخرى ويطلع على أنظمتها ويختبر طرق حياتها. وليست تتم ثقافة الطفل فى المريخ من غير تلك السياحة

وأما ممثلة الزهرة (Venus) فى هذا المؤتمر فهى تقرر حقيقة غابت عنا وطالت غيبتها حتى كدنا ننسى أن لها وجوداً أصلا. فمحور التدريس عندهم ليس المواد المختلفة كعلم تقويم البلدان أو الجبر أو المثلثات وما أشبه. وما محوره فى الحقيقة الا الطفل نفسه. فليذهب التاريخ والجغرافيا والمثلثات الى حيث. وليبق لنا الطفل. لقد وجدت هذه جميعاً من أجل الطفـل بينما لم يوجد الطفل لها. وهكذا الى أن قالت سيدة الزهرة. لقد كانت العادة أيها الاصدقاء أن يتكلموا عن المواد عندما

يبحثون فى التربية . ففى المؤتمرات كان العلماء يخطبون فى المواد وعنها . أى فى اللغة والتاريخ والجغرافيا والحساب . ولم يكونوا يذكرون كلمة واحدة عن الاخلاق . ولضيق أفق تفكيرهم كانوا يضعون الطفل فى المنزلة الثانية بعد المواد وكان المعلم الذى يهتم للاطفال أكثر من المواد لا يساوى فى نظرهم شيئاً . أما ديننا الذى عليه نموت فهو هذا : الطفل قبل كل شىء .

فليس للحياة فى هذه الدنيا قيمة ولا قدر لأنها دنيا دروس ومواد . ففيها يحملون الطفل من الدروس ما لا يتحمل : وأما اذا عجز فيحملونه أكثر ويراكمون عليه بعض المواد الاخرى . ويعدم صحته فيزيدونه دروساً ومواد . وتفسد أخلاقه فيعدون له دروساً خصوصية فى المنزل ويستحضرون له مدرسين خصوصيين . وتختل نواحى حياته الاجتماعية فيحبسونه مع كتبه فى غرفة ويضطرونه لأن يبقى حبيساً الى ان يحصل على البكالوريا وبعد ذلك يقولون أن هذه الدنيا ليست مستشفى للمجاذيب

والتدريس فى الزهرة للجنسين معاً فالذكور والاناث جميعاً يحضرون الدروس معاً . بلا تفريق بينهما . فلقد مضى الوقت الذى كانوا فيه يعتقدون أن الجنسين لبعضهما عدو مبين وان لا خير البتة يرجى من اجتماعهما . لا بل ينتج شر كثير من اختلاطهما فتفسد الاخلاق وتستباح الفضائل ويصير الناس فوضى أو بلشفيين . درجت بعض الكواكب على هذا إن خطأ وإن صوابا والقى فى روعهم أن هذا هو الحق وغيره هو الباطل وأما أهل الزهرة فيرفضون أن يقبلوا هذا قضية مسلمة من دون بحث أو تفكير . ان الانسان ليرغب فى أن يختبر عالماً غير هذا ودنيا غير هذه ليرى لنفسه أثر الفوضى وانحطاط الأخلاق التى عصمنا منها بفضل هذا النظام الذى أوجده لنا السلف الصالح . لقد سئم بعض الناس العيش فى عالم الفضيلة هذا ويرغبون فى عالم لا يتشدد مثلنا فيها لعل العيش فيه يكون أكثر احتمالا من عالم الاطهار هنا

حقاً أن آنسة الزهرة تزعم أن فى عالمهم ايضاً يفرقون بين الجنسين ما بين الثالثة عشرة والسابعة عشرة فالأولاد والبنات فى هذه السنين لا يحضرون الدروس مجتمعين وذلك لأن النشء فى هذه السنة كثير النزوات يركب رأسه بشهوة طارئة عنده . ولكنهم يرجعونهم ثانية بعد هذه المرحلة

وثمة شىء آخر ذكرته آنسة الزهرة وراقنى كثيراً وحببنى فى هذا الكوكب العجيب . وهو اهتمام المخلوقات هناك باجسام الأطفال وصحتهم على العموم . فليست للشهادات قيمة كبيرة فى نظرهم وليست تستحق عندهم أن يسلبوا أولادهم صحة الأبدان ولو من أجل علوم الدنيا مجتمعة . فهى تقول فى هذا الصدد « فى الواقع أننا لم نترك حجراً على حجر فى هذه الناحية الا قلبناه . لقد صرنا نؤمن ايماناً راسخاً لا تزعزع فيه ان نماء النفس والروح متوقف على نماء الجسم والبدن . اطعم الجسم — الجسم العارى — هواء نقياً وشمساً مشرقة فتكون قد غذوت الروح ايضا . أما لو أهملت الجسم فانك تقتل الروح فيه »

وختمت سيدة الزهرة خطابها بشيء طريف أرتبت فيه كثيراً والانسان كثير الظنون بالجديد . وكيف أرضى بنظامهم وقد أنزلوا الاستاذ عندهم الى منزلة النظير والزميل للتلميذ وعهدى به السيد العزيز البعيد المثال . نعم يا سيدى لقد أصطلحوا على أن لا يطلقوا عليه كلمة استاذ أصلا فهم يدعونه مرشداً فقط ووظيفته عندهم أن يكون أخاً للطالب ودليلا ليس غير . اما العظمة أو التعاظم ، اما السلطة والجبروت ، فقد حرموه منهما . مسكين حقاً ذلك الاستاذ . فلو خيرت لاخترت أن اكون تلميذاً فى الزهرة أو استاذاً على الارض

اما انسان جوبتر (Jupiter) فهو من اللاأدريين واكثر من هؤلاء امعاناً فى التشكك لا بل فى الانكار ايضاً . فهو لا يدرى اذا كان تعليم الجنسين معاً لخيرهما او لضررهما . ولا يقطع برأى فى هل ذلك النظام أفضل أم ذاك ولا يدرى هل هو نفسه مجنون أم عاقل . اذ من يستطيع أن يحكم فى هذا الأمر ؟ وقد يظن الانسان أن موقع جوبتر لا يبعد كثيراً عن العباسية فى القاهرة

والواقع انى بعد أن فرغت من مطالعة هذا الكتاب لم أعد أدرى هل هو يهزل ام يجد . وهل قصد الكاتب أن يضحك من أنظمة التعليم الحالية فقط أم قصد أن يدلنا على أمر فيه خيرنا

وظنى أنه جد فى هزل . فالكاتب يشعر كما يشعر الكثيرون معه أننا ندور فى حلقة مفرغة . لا نعلم لماذا نرسل أولادنا الى المدارس ولكننا نرسلهم على أى حال . نرسلهم لغرض واحد ظاهر وهو أن نعدهم لحياة سعيدة نافعة ولكننا نجد أن حياة المدارس كما هى لا تطاق وانها تذهب بكثير من استعدادات الأطفال وملكاتهم . لقد أوجدنا هذا النظام على انه أداة للحياة الصالحة ، ولكنه صار جحيما وقودهو هؤلاء الاطفال الابرياء . والداهية الدهياء اننا نعجز عن أن نفعل شيئاً فنقف مكتوفى الايدى لنشاهد مأساة الحياة تمر أمامنا فصلا فصلا

لعل انسان جوبتر هو أعقل الجميع ولعل جوبتر نفسه ليس مستشفى للمجاذيب

يعقوب فام

خريج جامعة يال وحائز لدرجة استاذ فى التربية

النية الحسنة للعامل

من النوادر التي يجب أن تفتح أعيننا وتبصرنا بروح العمل والصناعة في الزمن الحاضر ما ذكرته إحدى المجلات الامريكية . وهو أن مصنعاً للجوارب استمر مدة طويلة وهو ينحط وتزداد خسائره عاماً بعد عام . فلما رأت الشركة التي تديره ان الخسائر مستمرة عمدت الى مديره فأقالته واختارت مديراً آخر

وشرع هذا المدير الجديد يدرس أحوال هذا المصنع فالفاها في غاية السوء . فقد كانت الأجور منحطة والعمال زاهدين في عملهم تتضح على وجوههم الكآبة كما كان المصنع سيء الترتيب لا يوافق العمل فيه صحة العمال . ورأى هذا المدير الجديد أن اصلاح هذه الأحوال كلها غير ممكن وان بقاء هذا المصنع كما هو ينافي الصحة والعدالة والمعاملة السامية للعامل . فنوى في نفسه أن يقفله بطريقة لا تلقى عليه تبعة أقفاله

وكان أول ما فعله انه عمد الى أجور العمال فرفعها بل ضاعفها في بعض الحالات حاسبا أن زيادة النفقات ستزيد الخسارة فيقر رأى الشركة على اقفال المصنع . ولكن ما كان أشد دهشته عندما رأى في آخر الشهر أن المصنع قد ربح بعد أن بقى سنوات وهو يخسر . وكان السبب لهذا الربح أن العمال الذين كانوا يعملون تعبلا في تراخ وفتور أخذوا ينشطون للعمل حبا في زيادة الأجور فكان نشاطهم باعثاً على زيادة الانتاج والأرباح

وهذه الآن هي الخطة الامريكية التي يعملون بها في زيادة الانتاج اى انهم يزيدون أجور العامل فتبعثه الزيادة على النشاط في العمل . ولكن ليست هذه فقط نيتهم . وانما هم يزيدون الأجور لأنهم وجدوا أن طبقة العمال هي اكبر الطبقات عدداً وهي لذلك اكثر الطبقات استهلاكا للبضائع . فهم يزيدون الأجور لكي يزداد الشراء و يعم الرخاء والرواج

بل هم يزيدون بطالة العامل كما يزيدون أجوره لأن العامل يستهلك وقت بطالته وفراغه اكثر جدا مما يستهلك وقت عمله . وبعبارة أخرى نقول أن أصحاب المصانع في الولايات المتحدة يرفهون عن العامل بزيادة أجره وبطالته لأنهم وجدوا أن ذلك ينشطه في عمله ويحضه على الاستهلاك . وما دام الاستهلاك مستمراً فالانتاج يستمر ولا يحدث كساد

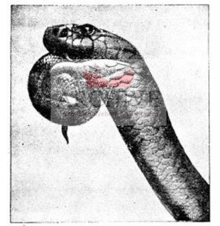
وما أحرانا نحن بان نستخرج لأنفسنا مغزى مما ذكرناه . فعمالنا في مصر في كساد لأن طبقة العمال والفلاحين لا تستطيع الاستهلاك ولا تنشط للعمل لقلة أجورها وقلة فراغها

س . م .

فتلة الثعابين

ليس بين الحيوان ما يهيج فى أنفسنا ذلك الخوف الممزوج بالاشمئزاز مثل الثعبان . فنحن نكره هيئته وملاسة جلده والتماع عينيه ودقة جسمه ونرى فى سمه الخفى وفى انسلاله الى الشقوق رمزاً للؤم والغدر والمكر

وقد حاطه الانسان بهذه المعانى منذ زمن طويل فدخل فى أساطيره وأديانه بل دخل فى أحلامه



ثعبان يتحوى لكي يمنع ثعباناً آخر من التهامه

التى هى السجل لثقافة الانسان الأول . فالثعبان هو البطل الذى يمثل الاغراء والغواية فى قصة آدم . وهو ايضاً من أبطال الأساطير المصرية القديمة

والثعابين منتشرة فى جميع انحاء العالم الدافئة والحارة وهى قليلة جداً فى الأقطار الباردة . بل

هي فى بلادنا تختفى فى الشتاء ولا تخرج الا فى الدفء والصحو . و ربما كان الانسان أعدى أعداء الثعابين نضربها أينما وجدناها ونعد قتلها مبرة و رحمة . بل نحن لكراهتنا للثعبان نكره كل شىء يشبهه فمن الناس من يأبى أن يأكل الانكليس وهو السمكة التى تشبه الثعبان وليس له حجة فى اباءه سوى ما يشعر به من الاشمئزاز لهذا الشبه السطحى بينه و بين الثعبان . مع ان الفرق كبير جداً بينهما فالاول سمكة تتنفس بخياشيم من الماء والثانى زاحفة له رئة يتنفس من الهواء . أما انسراح الجسم بين الاثنين فظاهرى لأن فى الثعبان اثار الأرجل القديمة التى كان يمشى عليها قبل أن يتطور الى حالته الراهنة و يستعمل عضلات جسمه للزحف

وأعداء الثعابين كثيرة اذا كان الانسان أولها وأفتكها فان الثعبان نفسه ثانيها . فالثعابين مثل الاسماك كبيرها يأكل صغيرها . ففى الهند مثلا نوعان من الثعابين السامة هما القبرة والقريط كلاهما يأكل



الخلد وقد قبض بأسنانه على الحية يريد كسر فقارها

الثعابين الصغيرة الأخرى . والثعبان الصغير يحتمى من الكبير المعتدى بأن يتحوى فيصير كالكرة فلا يستطيع الثعبان الكبير عندئذ اطباق شدقيه عليه وابتلاعه . ويحدث فى حدائق الحيوان أن يلتهم أحد الثعابين ثعباناً آخر ولا يترك منه أثراً يدل على هذه الجناية حتى ليدخل الشك عند الحرس ويظنون ان هذا المفقود قد فر . ومن الفكاهات الانجليزية المشهورة ان ثعبانين فى احدى الحدائق اصابهما الجوع فعمد كل منهما الى الآخر يأكله وقد تناوله من ذنبه فما زالا دائبين فى الالتهام حتى قضيا وفنيا . . .

وعندنا فى مصر من اعداء الثعابين ابن عرس والنمس والخلد والقنفذ . فابن عرس مع غرامه بالدجاج وما يوقعه من الأذى بنا هو أنفع الحيوانات فى تطهير البيوت فى الريف من الثعابين . اما

النقة فتظهر حقولنا منه . ولا يعرف للان هل ترجع قدرة ابن عرس والنقة على افتراس الثعبان الى مناعة أجسامهما من سمه او الى خفة حركتهما وتوقيهما أنيابه . أما القنفذ فان شوكه يقيه من لدغة الثعبان . وطريقته فى ضربه أن يفاجئه بعضة ثم يتحوى فاذا حاول الثعبان أن يصيبه بنابه التقي كرة شنيعة من الشوك لا يصل منها الى جسمه . ثم يعود القنفذ الى عضه بأسنانه حتى يحن الثعبان



النقة المصرية التى تصيد الثعابين فى الحقول

عن الضرب وعندئذ يأخذ القنفذ فى طعامه . والخلد حيوان معروف يصيد فى الليل وهو على نحافته وودعاته اذا رأى الحية أو الثعبان انقض عليه وكسر فقاره . والثعبان اذا كسر فقاره لا يستطيع أن يضرب لانه يحتاج الى ظهره بجعله قاعدة ليقوم عليها بعنقه و يضرب

والحدأة المصرية من ابرع الطيور فى صيد الثعبان . فهي تلتقطه وتطير به الى احدى الأشجار حيث تأكله

كما يرانا غيرنا

اديب المانى فى مصر

توماس مان هو اعظم أدباء المانيا الان وقد نال جائزة نوبل منذ ثلاثة اشهر . وعمره ٥٤ سنة وهو يقيم الان فى مونيخ وقد اخترنا على سبيل المثال هذه القطعة الاتية من احد مؤلفاته التى نشرت سنة ١٩٢٦ لمناسبة منحه جائزة نوبل وقدرها ٨٠٠٠ جنيه

ذهبنا الى القاهرة وهى مدينة تنبض وتضج بالحياة الشرقية . وتغدينا فى فندق انجليزى ثم خرجنا فى اتوميل الفندق بين الصخب الى اهرام الجيزة نتطلع بلهفة الى الناس والبلاد وقد حمينا عيوننا بنظارات ملونة من غبار افريقيا وشمسها .

ولم أر شيئاً كثيراً . فقد كنت محاطاً بالعرب رجالا وشبانا وهم عصابة لو قابلنا الشحاذين فى جنوب ايطاليا بها لكانوا من الارستقراطية البريطانية

وليس لهؤلاء العرب سوى فكر واحد وهو البقشيش وهم يستعملون جميع الوسائل بما فى ذلك الصياح المرعب لكى يجعلوه الموضوع المهم السائد على سائر المواضيع التى قدمنا مصر من أجلها . ونحن نذبهم عنا ذبا حقيقياً بتلك المذبة التى نشتريها لأول نزولنا من الباخرة لطرد الذباب . ولكنهم هم اسوأ من الذباب الحقيقى . وهم لا يدعونك لحظة واحدة سواء أكنت فى شوارع القاهرة حيث يغيرون عليك لعرض الجعلان وتذاكر البريد واجزاء من المومياء واشياء أخرى بشك فيما تقدم لك على سبيل التذكار او كنت فى الصحراء حيث يزعجك الشحاذون وماسحو الاحذية والحمارون . ومع هذا لا يمكن أن يغضب منهم الانسان لغرابة ملابسهم ومرحهم وقد يكون لهم شىء من الجمال ايضاً . وهو جمال على الطريقة الافريقية فلهم مثلا اسنان لم أر مثلها قط فى حياتى ويمكن الانسان أن يرى وهو على مسافة منهم شريطا من الاسنان العجيبة يتلألأ من وجوههم السمراء

ويبدو لى أنه ليس للمرأة اى حظ فى الحياة العمومية . ويراها الانسان وهى ملتفة بملابس سوداء كأنها راهبة تسير وعلى رأسها جرة تحملها منتصبة اذا كانت ملآنة وتضعها أفقية اذا كانت فارغة . . يقوم بالزراعة الرجال والصبيان وهم يؤدون أعمالهم فى صخب وضوضاء . والاطفال مخلوقات عجيبة لا توصف . تعلق لهم التمائم على جباههم ويرون عادة وهم يمصون القصب او شيئاً من الحلوى وقد حملهم الرجال على أذرعتهم . وكان لحمارى ثلاثة أسماء وهى بسمارك وموريس ودولى وقد اخبرنى المكارى وصرح لى وهو يجرى خلفى و يفحص عن مقدار النقود الفضية التى فى ديبى انه يستعملها تبعاً للظروف . واذكر انى عندما كنت فى كابرى (فى ايطاليا) كنت اركب

حماراً يسمى ميخائيل انجلو وكان من الغرابة بمكان . حتى انى كنت أسمع المكارى وهو يحث الحمار ويقول له . هلم يا ميخائيل انجلو . وكان أقل ما يقال فى هذا الاسم انه اسم أحد الأبطال الوطنيين لسم عظيم ولسم واحد نسكت عليه . اما هذا الحمار الذى يحمل اسما تختلف تبعا للظروف فكان ناقصا فى وقاره يحمل على وجهه علامات الخضوع بل الخنوع لمصالح السياحين وهى علامات مزرية مع ما فيها من تسلية . وفيما عدا ذلك اقول أن بسمارك كان حيوانا سارا صغيراً ابيض الى الغبرة له رأس كبير وعينان مضحكتان وكان ذكياً قوياً مثل معظم الحمير فى هذه البلاد . ولكن كان يجب على الا اقول ذلك والا امدحه اذ انه كلفنى شيئاً كثيراً من النقود

وذهبنا الى الاقصر الى الكرنك الى القبور الملوكية فى طيبة . وسافرنا اليها فى عربة نوم حملتنا ليلا فى الذهاب والاياب . ومن الصعب أن يفهم الانسان كيف أن هذا الشريط الضيق بين صحراوين يرويه النيل وينبت فيه الذرة والافيون والقطن والقصب استطاع أن يغذو تلك الثقافة التى رأينا اثارها بارزة فى جو محرق ما ندبت أرضه بقطرة من المطر فى السنوات الثلاث الماضية . وقد سرت على التراب بين هذه الاعمدة اعمدة اللوتس والبردى وقد كسى سطحها بنقوش وصور أبدية كأنها السحر فى جمالها . وكذلك نزلت مع الاخرين فى ذلك الهواء المحبوس فى

توماس مان الذى نال جائزة نوبل وقد ترجمنا له هذا المقال

تلك الحجر التى تحتوى على قبور ابناء الشمس فى الجبال على حافة الصحراء اللوبية ولن كان نزولى فيها قد أزعجنى . وانى اعتقد أن كل انسان سليم الذهن يشعر بما شعرت به فى هذه الحجر التى يمتلىء هواؤها بالحر والغبار والتى حفرت فى مكان ناء عميق فى هذا الجبل فبقيت بها رسوم الجدران لجفاف الهواء على مدى السنين وهى على جدتها وبهائها . أجل . شعرت بشعور مخجل يثقل الصدر

هو شعور الاعتداء . فان هؤلاء الناس فكروا ودبروا التدابير لكي يحولوا دون ما يجرى لهم الآن فهذا مثلا امينوفيس الرابع الذى رأينا موميائه فى تاووس من الحجر البديع والذى وقفت أمامه انظر اليه من خلال الزجاج وانا متأثر من هذه الملامح الجملة لهذا الملك الشاب الذى وضع يديه على صدره هذا الملك الذى حفر حجرتين ووضع فى كل منها موميا ملوكية كاذبة لكى يخدع الباحثين فلا يفكروا فى حجرته الثالثة التى رقد فيها . وقد نجح فى ذلك مدة ما وقع العلم بالحجرة الاولى اولا ثم بالثانية وأخيراً عرفت الخديعة وكشف عن الحجرة الثالثة التى اختبأ فيها منا . ان هذا لعار صارخ الى الأبد

وقد فرغوا الآن من قبر توتنخ امون ولم يبق فيه سوى الصناديق المذهبة التى كانت تحتوى الموميا . وقد كان مزوداً على اتم وجه للابدية وكان يحسب نفسه آمناً بين أثاثه المنزلى . ورأيت بعد ذلك بعض هذه الكنوز فى متحف القاهرة وخصوصاً ذلك الكرسى الذى يقوم على أقدام الأسد الذهبية والذى يزدان ظهره بالرسوم وهو تحفة فى غاية اللطف والجمال . والآن لنا أن نتساءل : هل يجوز أو يليق بنا أن نستثمر هذا الجمال للاحساس الانسانى ونعرضه على الناس أو ننزل على ارادة صاحب الجلالة تلك الارادة التى ما تزال حية على الرغم من توالى القرون فلا نعرضه على الناس ؟ هذه عقدة لا يستطاع حلها

هذا الشرق . أجل هذا الشرق لقد كرعت منه . وانا أحمل منه صوراً أبدية لم تتغير منذ أيام ايسيس والآلهة التى يحمل كل منها رأس الصقر . وقد رأيت الرجال السمر الألوان وهم يعملون الشادوف على شطوط النيل ورأيت الفلاح يحرث بالادبدائية تلك الأرض التى أخصبتها الذكريات المقدسة ورأيت الثور يدور فى الساقية كما رأيت الجمل ابيض مغبراً عجوزاً له رأس يشبه رأس الثعبان وفيه نظرة تحمل ذكرى آلاف السنين وعلى ظهره راكب معمم قد أردف آخر يسير ويطبع صورته على صفحة الافق . وساستنبط هذه الصورة كلما أردت . أجل لقد صار هذا الشرق لى

بالرأس واليد والقدم

ارتفع الانسان على الحيوان

ليس الانسان إنساناً متفوقاً على الحيوان بعقله فقط بل هو يتفوق عليه أيضاً بأشياء كثيرة منها قامته المنتصبة وعيناه المتجاورتان ويداه الحقيقتان اللبقتان بل هو يمتاز بقدميه. وقد لا نرى نحن الآن ميزة القدمين ولكنهما كانتا في بدء التطور الانساني لا تقلان خطورة عن قيمة اللسان في نهاية التطور الانساني



القدم الانسانية وحولها اقدام اقرب الحيوانات الينا في أعلى من اليمين قدم الغوريلا ومن اليسار قدم الشمبنزى وتحت اقدام اخرى لأقرب الحيوانات الى الانسان

واذا نحن نظرنا الى تاريخ القدم الانسانية ألفينا الانسان قد ارتفع عليها مجازاً وحقيقة. فالانسان نشأ هو والقردة العليا من أسرة كانت تعيش على الاشجار فكان يتسلق. ومن الملاحظ الآن أن كل حيوان يمكنه التسلق مثل الفأر أو السنجاب يمكنه أيضاً أن يقف منتصباً فكان التسلق تأهيلا له لهيئة الانتصاب التي اتخذها بعد ذلك. ولكن الملاحظ في القردة أنها تستعمل أذنابها للتعلق بالأغصان. ولكن الانسان والقردة الأربعة العليا الحية الى الآن استغنت عن أذنابها منذ زمن بعيد وذلك لأنها تركت التسلق وعمدت الى القفز من غصن الى غصن كما يفعل الأورانج أوتان الآن

وبالقفز زادت القامة انتصاباً لأن الحيوان الذى يتعلق بيديه ينتصب قائماً حتى ولو لم تثبت قدماه على الأرض. فلما هجر الانسان الأشجار ونزل على الأرض وجد نفسه منتصباً. ونحن لا نعرف الآن على وجه اليقين ظروف هذه الهجرة ولعله قضى آلاف السنين وهو يمزج بين المعيشتين معيشة

الشجر ومعيشة التجوال على الأرض كما يفعل الآن الغوريلا فى أفريقيا . ولكن المهم الذى يجب ألا ننساه ان هذا الانتصاب على قدميه قد فتح له الميدان فسيحاً للارتقاء وذلك أولا بأن جعله يحمل رأسه حملا عمودياً فيستطيع أن يتحمل ثقله إذا كبر . ولو كان الانسان يسير على الأربع لما استطاع أن يحمل هذا الرأس الضخم . ثم أنه بانتصابه صار الرأس بعيداً عن الأرض فصار الاعتماد فى الملاحظة على العينين لا على الأنف . والذى نلاحظه الآن أن الطيور كلها تعتمد على عينيها فى الملاحظة ولا تكاد تشم شيئا وذلك لارتفاعها عن الأرض بينما الكلب الذى يسير وأنفه فى التراب يعتمد على أنفه فى الشم . ونحن عند ما نسير تكون رءوسنا بعيدة عن الأرض تقع منها موقع الطائر ولذلك نعتمد على أعيننا . والملاحظة بالعين تفتق الذهن وتعطيه صورة للعالم أدق من الصورة التى يعطيها الأنف بالشم لتلك الحيوانات الأخرى

فلنذكر إذن فضل القدم الانسانية فى تطور الانسان فهى التى جعلته ينتصب فيأت الجسم بذلك لحمل دماغ كبير وللاعتماد على النظر دون الحواس الأخرى

ولكن اليد لا تقل عن القدم فى ذلك . فقد استغنى الانسان بها عن الذنب لأنه صار يتعلق بها بينما بعض القردة ما تزال تتعلق الى الآن بأذنابها . وبذلك صارت اليد آلة للتناول والقبض . ولكن يد الانسان تمتاز من سائر الأيدى التى للقردة العليا بأن ابهامها ليست قصيرة وهذا يدلنا على أن الانسان لم يطل الاقامة على الأشجار أو هو بالاحرى لم يختص بها ولكنه كان يمزج بين الاقامة فيها والاقامة على الأرض ولذلك لم يفقد ابهامه أو لم تقصر هذه الابهام كما هو الشأن فى الاورانج اوتان . فالذى نلاحظه الآن أننا عندما نتعلق نكتفى بأربع أصابع دون الابهام فلو أن الانسان أدمن المعيشة فى الشجر والاعتماد على القفز اصغرت ابهامه وكان يكون من ذلك بعد أنه لا يحسن التناول والقبض وصنع الآلات والأدوات

أيدى الحيوانات القريبة من الانسان . فى الوسط يد الغوريلا وفى أعلى من اليمين يد الاورانج ومن اليسار يد الشمبنزى . وفى أسفل أيد أخر قريبة من يد الانسان

ولكن الابهام بقيت فى أيدينا فصارت اليد الانسانية سبباً لتفتيق الذهن وباعثاً على الاختراع كما صار اللسان بعد ذلك باختراع اللغة. فالانسان بقى مدة طويلة وهو أخرس ولكنه طول هذه المدة كان يخترع الأدوات بيديه فكان يؤدى ما فى ذهنه من الفكرة الغامضة بشكل مايصنعه من الحجر أو الخشب أو الطين. فكان هذا الشكل بمثابة الكلمة المحدودة المعنى يحرك الذهن الى شكل آخر. فبقى على ذلك وهو يخترع. بل بقيت اليد حتى بعد اختراع اللغة من أعظم الأسباب لتقدم الانسان المدنى لأنها أمكنته من الزراعة والبناء وصنع الأشياء. وصار بين الذهن واليد تفاعل كل منهما يكتسب من تجارب الآخر. ولولا اليد لما استطاع الانسان أن يخترع شيئاً مهما سما عقله وذلك لأن من طبيعة أفكارنا أنها تظل غامضة مبهمة ما لم نجسمها فى كلمة نلفظ بها أو فى جسم نراه ونعرف حدوده. وأداة الألفاظ هى اللسان وأداة الأجسام المخترعة هى اليد.

ومن هنا يرى القارىء أن فضل اليد فى تقدم الانسان لا يقل عن فضل القدم. هذه جعلته ينتصب فتحررت اليدان واستطاع بهما أن يتناول ويخترع كما انه استطاع أن يحمل رأساً ضخما يحتوى دماغاً عظيما. أما تلك أى اليد فقد قامت مقام الذنب للتسلق أولا ثم للتناول ثانياً ثم للاختراع ثالثاً. وبالاختراع صارت أداة للتعبير عن الأفكار حتى عرف الانسان اللغة وبعد ذلك لم تقل أهميتها إذ هى الأداة العظمى للاختراع الآن

بأيدينا وأقدامنا ارتفعنا فوق الحيوان. ولكن أرموسنا سمونا وفقنا الحيوان حتى صرنا نشعر بالهوان اذا قيل لنا أننا

تطور الرأس فى الحيوان :
من أعلى الى اسفل ١ — رأس السمكة. ٢ — رأس أقدم الزواحف. ٣ — رأس الزواحف الوسطى. ٤ — رأس الزواحف الحديثة ٥ — رأس حيوان لبون ٦ — رأس قرد قديم ٧ — رأس قرد حديث ٨ — رأس انسان

نشترك معه فى صفة من صفات الجسم أو خصلة من خصال العقل والغرائز . ولكن اليد والقدم والرأس حلقات ثلاث مهمة جداً فى سلسلة التطور لو نقصت إحداها لانفصمت السلسلة

باليد تعلمنا التسلق فزال الذنب . و باليد صرنا نقفز من غصن الى غصن فانتصبت القامة . فلما تركنا الشجر استمررنا على انتصاب القامة فكانت القدم . فصارت لنا من ذلك نتيجتان عظيمتان الأولى أن اليدين تحررتا وتوفرتا على التناول والقبض والثانية أن الجسم المنتصب صار يمكنه أن يحمل رأساً ضخما لم يكن ليمكنه حمله لو كان يسير على أربع



جماجم الانسان وانواع الحيوان القريبة منه : ١ — جمجمة قرد منحط . ٢ — جمجمة الشمبنزى . ٣ — جمجمة انسان جاوة المنقرض . ٤ — جمجمة الانسان النياندرتالى . ٥ — جمجمة من سلالة الاورنياك المنقرض منذ ٢٥٠٠٠ سنة . ٦ — الانسان الآن . ٧ — الانسان فى المستقبل

وهناك أشياء أخرى عملت على سيادة الانسان ولكن هذه الميزات الثلاث هى أهمها . ولكن يجب ألا نعتقد أن الدماغ الضخم الانسانى يعزى كله الى انتصاب القامة . ولكن الذى نقول أن معظمه يعزى الى انتصاب القامة . بل هذا الدماغ مستحيل فى حالة السير على أربع لأنه ثقيل لا يحمل حملا أفقيـاً . والذى نلاحظه أن الطبيعة سارت فى تضخيم الدماغ سيراً حثيثـاً وخصوصاً فى تضخيم المخ الأمامى الذى يغير على المخيخ الخلفى فى الانسان وكأنه يريد أن يمحوه و يأخذ مكانه . بل هناك من العلماء من يقول أن المخ الأمامى قد بدأ بالفعل يأخذ على نفسه وظائف المخيخ الخلفى . ومما يرجح صحة هذا القول أن أطفال الانسان يتأخرون فى المشى نحو عام بينما أطفال الحيوانات الأخرى مثل الكلب أو الرواحف لاتتأخر . فاذا فرضنا أن الانسان كان منذ ملايين السنين يعيش مثل الرواحف بدماغ كله أو معظمه مخيخ يتسلط على حركة الجسم فن المعقول أن الأطفال كانت تمشى عقب الولادة بقليل . فما الذى أنساه المشى الآن حتى أنه يحتاج الى عام كامل قبل أن يمشى ؟

الذى أنساه هو فى الأرجح انتقال وظيفة المخيخ الى المخ فى الانسان وأن هذا المخ جديد ينمو بنمو الطفل ولذلك يتأخر مشى الطفل بتأخر النمو فى هذا المخ

والآن لنا أن نتساءل: هل بلغ المخ غايته فى النمو ولم يعد سبيل الى زيادته ؟ الجواب على ذلك أن جرم الدماغ الآن كبير ولذلك فان أرجح الظنون أن التطور سيتخذ طريقاً أخرى لزيادته بدون الحاجة الى زيادة جرمه وذلك بزيادة تلافيفه حتى تتسع مساحة سطحه . وأيضاً بترقيق الجمجمة فان

عظام الجمجمة ثخين جداً قد أريد منه في الاصل المتانة وقت التصادم والقتال . ولكننا لم نعد نحتاج الى هذه المتانة وقت التصادم فاذا رق العظم كبر التجويف فيكبر المخ . وقد يزداد الرأس قليلا في الجرم أيضاً ولكن هنا يحتاج الى تضخيم العنق حتى يحمله . وربما يتجه الرقي نحو زيادة الأوعية الدموية في الدماغ حتى تكثر تغذيته فيبقى ناشطاً للعمل والتفكير

فان الملاحظ أن أوعية الدماغ تتصلب بسرعة فتتقصف ويحدث منها « النقطة » أي خروج قطرة من الدم تشل الجسم والعقل أو تحدث الوفاة

وبعض هذه الأوعية ينسد فلا يجد المخ غذاءه . فالرقي المنتظر يحتاج الى رقي في تغذية الدماغ وتحسين هذه الأوعية

ويمكننا الآن أن نتخيل انسان المستقبل بأنه سيكون ضخم الرأس والعنق ولكن ضخامة الرأس لن تكون عظيمة . وهذا الى سعة في الصدر حتى يجد الجسم كفايته من الاكسجين في الرئتين . وقد تطول القامة قليلا ويضمر البطن ويدق الأنف . وضمور البطن سينتج من تركز الأطعمة واكتفائنا بالقليل منها

أما الحواس فما لا شك فيه أننا نصير نحو الخشم أي أننا لن نستطيع الشم وذلك لأننا نعتمد على عيوننا في تفهم الأشياء . ونحن في ذلك مثل الطيور فانها أيضاً لا تشم وكثيرون من الناس الآن لا يستطيعون شم الأشياء الا بضعف عظيم . ثم نحن سائرون أيضاً نحو زوال الأظافر من القدمين وادغام أصابعهما الواحدة في الأخرى . ومن الناس من يولد الآن « فلتة » وليس في قدميه أظافر وهذه الفلتات ستكثر في المستقبل

افريقيا فى غابرها وحاضرها

من محاضرة للدكتور محمد شرف

يعرف القراء الدكتور محمد شرف بأنه جراح ماهر ولغوى متبحر دقيق البحث عن الالفاظ العربية وله معجم هو الآن العمدة فى ترجمة الألفاظ العلمية الأوربية الى العربية . ولكن كثيرين يجهلون انه الى جانب هذا رحالة يدأب فى السياحة ولكنها ليست سياحة التنقل فى الفنادق الجميلة فى باريس ولندن وما اليهما بل هى الضرب فى مجاهل افريقيا حيث ينام فى الخيام ويشق طريقه على الاقدام أو محمولا على اعناق الزنوج . وقد ساح جملة سياحات فى افريقيا كان آخرها سياحته التى رافق فيها الأمير يوسف كمال من الكاب فى جنوب افريقيا الى أواسطها مخترقاً فى ذلك جبالها وسهولها وغاباتها يصيد مع الأمير أوابدها من سباع وبهائم



الدكتور محمد شرف

ولما وصل الى القاهرة القى فى قاعة الجمعية الجغرافية محاضرة عن افريقيا فى غابر زمانها وحاضرها من حيث العلاقة ببقاء حيوانها . وقد راقنا من هذه المحاضرة معلومات ومعارف نود أن ننقل بعضها الى قراء المجلة الجديدة

فما ذكره أن الخطوط الحديدية قد كثرت فى افريقيا ولكن الأهلين فى أواسطها ما زالوا فى

حال بدائية لا يعرفون من الدواجن سوى الدجاج . ويمكن السائح أن يستعمل الاتوموبيل ولكن هناك بقاعاً لا يمكن الانتفاع به فيها لوعورتها فالسياحة لا تكون عندئذ الا على الأقدام والاستعانة بالزنوج فى الحمل . وحيوان الصيد كثير جداً فى الاماكن التى تحميها ذبابة تستسى لأن الصائدين لا يجرأون على الدخول فى هذه المناطق خوفاً من مرض النوم الذى تنقله هذه الذبابة

وقد بدأ رحلته من الكاب فقطع بتشوانا لاند وروديشيا وكونغو الى أن بلغ تنجنيقا . ومعظم هذه البقاع كاسية بالأعشاب ولذلك تعيش عليها أنواع من ذوات الظلف والحافر تبلغ نحو ٧٠ نوعاً تقتات بهذه الأعشاب وبينها نحو ٣٠ نوعاً من الايائل . ويعيش على هذه البهائم سباع تفترسها وتغتذى بها

وهذه البهائم تنتقل من أماكنها وترحل فى طلب الأعشاب معتزلة حيث جفاف فى البقعة التى تعيش فيها أو هى ترحل فى طلب الملح الذى تحتاج اليه . لتساحها يفعل كثيراً أن نوعاً معيناً من الحيوان يقيم فى صقع معين هذا العام فاذا جاء العام الثانى نراه قد انتقل الى صقع آخر

ومما يلاحظ أن كلا من آسيا واوربا أحدث فى التاريخ الجيولوجى من افريقيا . والأدلة على ذلك كثيرة ربما كان أهمها أن شواطىء افريقيا مسحاء لا تتجون وذلك لأن رواسب الأنهار ملأت الأجوان وطمتها فزال بذلك تغضن الشواطىء . والأرجح الظن أن اوربا كانت متصلة بافريقيا قبل نحو ١٠٠٠٠٠ سنة فكانت مراكش متصلة باسبانيا وتونس بايطاليا كما كانت اليمن متصلة بافريقيا إيضاً وقبل ذلك فى عصر أبعد جداً من العصور الحديثة كانت افريقيا متصلة بالهند واستراليا فى قارة كبيرة

واذا نحن تأملنا افريقيا الآن ألفيناها رباوة عظيمة من الوسط ما تزال تتدرج مائلة منخفضة الى أن تبلغ الشاطىء وبهذه الرباوة أنهار لها وديان وسهول تنساح فيها مياهها فتمتلىء بالأعشاب التى تنمو فى البطائح والمناقع . وهذا هو ما نراه الآن فى وادى الزمبيزى والكونغو أو فى وادى البحر الابيض وبحر الجبل من النيل . والأرجح أن النيل نفسه كان كذلك فى العصور القديمة من منبعه الى مصبه ينساح سيحاً فى واد عظيم ولا يشق طريقه فى قناة مشقوقة كما هى حاله الآن فى مصر . فكان لانسياحه هذا يقير على أطراف الصحراء اكثر من الآن وكان واديه يمتلىء من أعشاب كالبردى ونحوه ويخلو من الاشجار الكبيرة . ولهذا السبب كان هذا الوادى حافلا كله كما هو حافل الآن حوالى مصبه وبعيده بأنواع الحيوان التى تقتات بهذه الأعشاب مثل أفراس النهر والخنازير البرية والتماسيح والطيور المائية . وكانت الصحارى حول هذا الوادى شجراء بها غابات واحراج تعيش فيها السباع التى تقتات بالحيوان الذى يرعى هذه الأعشاب

وفى قبور الفراعنة مناظر الملوك وهم يصيدون الأسد والفهد والثور البرى والزرافة والغزال وهذا يدل على أن هذه الحيوانات كانت تعيش فى مصر أيام الفراعنة . ثم يجب ألا يبرح من أذهاننا أن العصر الجليدى فى اوربا كان عصر الأمطار فى مصر . فانسياح نهر النيل من جهة ونزول الأمطار من جهة أخرى كلاهما جعل مصر أو وادى النيل كله مع كثير من الصحارى الحاضرة

واديا عظيما من الأعشاب فى الوسط والغابات على الأطراف كثير البهائم الآبدة والسباع . ويقيت الحال كذلك الى أن استطاع آباؤنا أن يتخلصوا من الديس والبردى ويستصلحوا الارض للزراعة ويمنعوا غارات الفيضان . ويثبت التاريخ أن الفيل كان فى مصر الى قبل ٥٠٠٠ سنة وان فرس النهر بقى مدة يعيش فى الدلتا . بل لقد ذكر بوفون العالم الفرنسى ان فرساً قتل فى دمياط سنة ١٦٥٨ والمشهور أن فرس النهر كان نكبة مقيمة حول دنقلة فى القرن الماضى . وفى سنة ١٨١٢ بلغت أفراس النهر الشلال الثانى ووادى حلفا وظهر منها واحد فى اسوان . وكان الأسد منتشراً فى مصر وقد صاده تحوطمس ا[illegible] منفيس . أما امنحوتب الثالث فقد أثر عنه انه صاد ١٠٢ من الاسود فى عشر سنوات [illegible] ٩٦ بهيمة آبدة قريباً من قنا . وذكر سوتينى ان الأسد كان الى آخر القرن الثامن [illegible] هو الآن يعيش قريباً من كردوفان وعطبرة . ومما يقوله العرب المصريون ان الجمل قد طرد الاسد من مصر وذلك لأن الجمال ترعى تلك الاعشاب التى تنبت على اطراف مصر فلا تجد البهائم البرية الآبدة ما ترعاه وبذلك تنقرض هذه البهائم فلا يجد الأسد ما يفترسه فيعمد عندئذ الى الجنوب يتجه اليه حيث تكون الأعشاب وتكون البهائم التى تأكلها طعاماً له

وخلاصة القول عن زوال السباع والبهائم الوحشية من مصر انه يعزى الى أن النيل قد صار قناة محصورة وكان قبلا ينساح ويخلف عقب الفيضان بطائح ومناقع ينبت فيهــا الديس والبردى وسائر الأعشاب التى تقتات بها البهائم الوحشية وان المطر كان ينزل فينبت فى الصحارى أشجار تختبىء فيها السباع من اسود وفهود ونحوها . فكانت السباع تقتات بالبهائم . وهذه الحال ما تزال قائمة عند الاقتراب من مصب النيل فى افريقيا الوسطى حيث الوحوش كثيرة الى الآن

ولولا أن أنهار افريقيا وعرة والملاحة فيها ما تزال شاقة ، ولولا أن افريقيا اقترنت فى التاريخ بالخرافات التى تخيف الناس من التوغل فيها لكثر فيها الاستعمار وقضى على ما فيها من أوابد ما تزال حية فى وسطها الى الآن . ولما أخذ الهولنديون فى الاستعمار وجدوا عدداً كبيراً من الوحوش بهائم وسباعاً فعمدوا اليها يقتلونها . ولما شاع استعمال العمال فى المناجم صاروا يصيدونها للطعام . ومما يذكر هنا عن مقدار هذا الصيــد أن صائداً واحداً صاد ٤٩٠ حيواناً فى تسعة أشهر فى روديشيا . أما الاستعمار البرتغالى فلم يؤثر كثيراً فى حيوانات افريقيا لأن البرتغاليين ليسوا من هواة الصيد

وقد عمدت الحكومات المتسلطة على وسط افريقيا وافريقيا الجنوبية الى حماية حيواناتها بتحديد منطقة تكون حرماً للحيوان لا يجوز فيها صيده كما انها منعت صيد بعض الحيوان الا بمقدار. وفى هذه المناطق التى جعلتها الحكومات حرماً لا يباح فيه الصيــد وأيضاً فى المناطق النائية التى تعيش فيها ذبابة متستسى ما تزال تعيش حيوانات افريقيا

الحيوانات المنقرضة فى مصر

بقلم الدكتور حسن صادق وكيل مصلحة المناجم

يكشف البحث الذى يقوم به الاخصائيون الجيولوجيون من آن لآخر عن عظام حيوانية دقيقة فى طبقات من الصحراء او الرمال او مكدسة فى كهف أو بجوة فى باطن الأرض

وقد تكون هذه الاكداس من العظام نتيجة وباء انتاب مستعمرة حيوانية قديمة فابادها فتركت عظامها شاهدة على سابق وجودها او يكون تكديسها نتيجة اكتساحها بفعل نهر او سيول الى منخفض من الأرض كبركة او مستنقع ثم تراكمت عليها الرمال من الصحراء فطمرتها

وقد تكون هذه العظام لحيوانات لا تزال انواعها تعيش على وجه الأرض او فى مياه البحار الآن او تكون لأنواع أو فصائل عاشت فى عصور جيولوجية قديمة ثم بادت وانقرضت. وقد تكون ذات صلة بانواع من الحيوانات الحالية فهى حلقة فى سلسلة التطورات أى أدت الى نشوء الأنواع المعروفة الآن.



الميريثيريوم اقدم جدود الفيل المعروفة وقد وجدت احافيره فى الفيوم

على انه فى بعض الأحيان قد تكشف أنواع غريبة يحار العلماء الاخصائيون فى تحديد مركزها فى مملكة الحيوان

ولقد تعددت مثل هذه الاكتشافات فى مختلف نواحى الأرض فاجتمع من هذه العظام فى متاحف اوربا وامريكا كنوز. ولقد عنى بعض المتاحف بجمعها وترتيبها ثم هى تركيب بعض الهياكل وتنسيها لتمثل الهيكل التام للحيوانات ليس لها على وجه الأرض من نظير. ولقد برزت بعض الزواحف والليونات البائدة فى حجمها اى نوع يعيش على الأرض الآن. فقد بلغ طول بعض الزواحف التى كشفت فى طبقات القارة الأمريكية نحو ٣٠ متراً واختلفت أنواعها وأشكالها لحد يحار العقل الانسانى فى تصديقه

ولم تكن الطبيعة لتضن على هذا القطر المصرى ببعض هذه الكنوز الدفينة. فقد كشف البحث فى أوائل القرن الحالى فى السهول الممتدة شمال بركة قارون الى سفح الهضبة المطلة عليها عن هياكل عظيمة لانواع من الحيوانات المنقرضة بعضها فريد بين أنواع الحيوانات فى العالم طرا وبعض يمت لكثير من أنواع الحيوانات المعروفة بصلة وثيقة

ومنذ أن كشفت هذه العظام لأول مرة عام ١٩٠١ قد توالت بعثات البحث بعضها حكومية مصرية وبعضها أجنبية فأثمرت جهودها بان اجتمع لنا من ورائها مجموعة ثمينة حفظ أغلبها فى المتحف الجيولوجى التابع لمصلحة المساحة بالقاهرة والبعض بمتحف التاريخ الطبيعى بلندن بانكلترا . ولقد اتيحت الفرصة لبعض الاخصائيين فى علم الحيوانات البائدة أن يفحصوا عن هذه العظام فحصا دقيقا اماط اللثام عن ماهية هذه الأنواع وعلاقتها بسائر الفصائل الحيوانية . وسنجعل موضوع مقالنا هنا وصف أهم هذه الحيوانات التى كشفت عظامها فى هذه المنطقة



الباليومستودن الجد القديم للفيل وقد وجدت أحافيره فى الفيوم

هذا ولا يخفى انه لما كانت هذه الحيوانات قد بادت وانقرضت فليست لها اسماء عادية متداولة ولذلك يطلق عليها لتعريفها أسماء علمية مكونة من لفظين الأول اسم الجنس والثانى اسم النوع وهى أسماء لاتينية قد اصطلح عليها وهى تشير عادة الى صفة او خاصة يمتاز بها الحيوان . او اشارة الى الشخص الذى كشفها ووصفها لأول مرة او للمكان الذى وجدت فيه وهلم جرا . وسنكتفى هنا بايراد اسم الجنس تبسيطاً للموضوع ومنعاً للتعقيد

وقد يهم القارى أن يلم بشىء عن المكان الذى توجد فيه هذه الدفائن فنأتى اولا على موجز لوصف المنطقة التى وجدت بها هذه البقايا الحيوانية . فالى شمال بحيرة قارون بمديرية الفيوم سهول قليلة التعاريج تمتد شمالا الى سفح هضبة قائمة على بضع كيلو مترات من شاطىء البحيرة تليها هضبة اخرى تنتصب فوقها . وهذه الأخيرة هى حافة الصحراء الليبية التى تمتد بعد ذلك لتتصل بالصحراء الكبرى . وقد سميت حافتها المطلة على منخفض الفيوم جبل القطراني

اما السهول الممتدة من شواطىء البحيرة الى الهضبة الأولى فهى مكونة من طفل وصخور جيرية تدل صفاتها وما تحتويه من محارات وعظام لحيوانات بحرية على أنها تكونت فى اول الأمر على قاع بحر عظيم كان يغمر هذه المناطق جميعا فى عصور جيولوجية قديمة . وقد وجد فى طبقات

هذه الصخور عظام لنوع من الحيوان البحرى يسمى الزيجلودون Zeuglodon يقرر الاخصائيون انه حيوان لبون كان يرضع اطفاله وليس من السمك. وهو من أسلاف الحيوان البحرى العظيم المعروف بالقيطس الذى يهيم الآن فى بعض المحيطات الكبرى

ويمكنك أن ترى فى المتحف الجيولوجى الفك الاسفل لهذا الحيوان وبعض عظام اخرى فتحكم منها على انه كان حيوانا يبلغ طولا نحو ٢٠ مترا . فهو من الحيوانات البحرية العظيمة



شكل تخيلى لما كان عليه الارسينوتيريوم فى حياته

اما الهضبة السفلى التى تسمى قصر الصاغ فمكونة من طبقات رقيقة متتالية من الحجر الجيرى والطفل والطين والرمل. وبها مجموعة عظيمة من عظام الحيوانات من بينها أنواع من الزيجلودون السابق الذ ر ومعه أنواع من التماسيح والأسماك والقياطس. وهنا عدا حيوان عجيب سمى الميريثيريوم Merithereum وقد قر الرأى على أنه اول حلقة فى سلسلة التطورات الحيوانية التى أدت الى نشوء الفيل

وهذه المجموعة الحيوانية بعضها بحرى وبعضها من ساكنى الأنهار. ويغلب على الظن أنها تكونت فى بحر قليل العمق او عند مصب نهر عظيم

فكأنما البحر الذى كان يغطى هذه المنطقة فى أول الأمر كان قد بدأ يحسر عنها ويترك وراءه مستنقعاً تاوى اليه الحيوانات البرية فتختلط فيه بحيوانات البحار

اما الميريثيريوم Meritheroum كما ترى فى الشكل الأول، فتدل العظام التى وجدت منه انه كان بحجم التابير وهو نوع من الخنازير الافريقية، كان يشبهه لدرجة كبيرة. وتدل صفاته وما كان يرافقه من حيوانات على انه كان من الحيوانات البرمائية التى لها قدرة العيش فى الماء وعلى اليابس سواء بسواء. ويشترك مع الحيوانات ذوات الخرطوم فى استطالة اسنانه الأمامية وهى التى تمو فى الفيل الى الأنياب المعروفة. على أن الرأس كان قصيراً بنسبته . وقد اجمع علماء التشريح المقارن على أن جميع صفات هذا

— الجديدة

الحيوان الصغير يشير الى علاقة متينة بينه و بين فصيلة الفيلة . وهذا يشير الى انه من اولى الحلقات التى أدت فيما بعد الى تكوين هذه الفصيلة العجيبة من الحيوان

اما الهضبة الاخيرة او سفح جبال القطرانى فمؤلفة من رمال وأحجار رملية وطينية وجيرية. وفى احدى طبقاتها السفلى قطع شجرة من جذوع الشجر اختلطت بها اكداس من العظام لمجموعة مختلفة من الحيوانات ومن بينها بعض أنواع التماسيح والسلاحف والضباع. وهى مجموعة لا شك فى أنها حيوانات أرضية مما تعيش على مقربة من الأنهار او المستنقعات . فكأنما هذه المنطقة التى كان يغمرها البحر ثم تحولت الى مستنقع قد تحولت الى مجرى نهر او مصبه . واذا تركنا جانبا العدد الهائل من الحيوانات التى تركت عظامها فى هذه الطبقات بقى من بينها ثلاثة تلفت النظر وتستوقفنا للوصف

اولا وقد يكون أهم ما يوجـــد من بقايا الحيوانات المصرية نوع سمى الارسينوثيريوم Arsinioethereum نسبة الى مقاطعة الفيوم التى كان يدعونها الرومان Araenoe

وكم كان عجيباً هائلا هـذا الارسينوثيريوم وقد ترك وراءه مجموعة تكاد تكون تامة من العظام اذا ركبت بعضها ببعض ونكون تخيلناه كاسياً باللحم والجلد لكان كما يراه القارىء فى الرسم . وكان يبلغ طولا نحو ٣٫٣٠ متر وارتفاعا نحو ٢ متر وقد وجدت عدة رءوس احتفظ بأحسنها بالمتحف الحيوان المصرى فكانت أثمن ما يدخره هذا المتحف . وتراها وقد حليت بقرنين أماميين عظيمين خلفهما قرنان صغيران آخران . وأسنانه كاملة تدل من تعاريجها العميقة على أنها كانت آلة محكمة لمضغ الحشائش الجافة

ويلفت النظر فى أمر هـذا الحيوان عدا حجمه وشكل رأسه ضخامة عظامه وقصر رقبته التى تحاكى فى ذلك رقبة الفيل وكانت رجلاه الأماميتان أقصر من الخلفيتين ولكل من أرجله خمسة أصابع

ولقد حار علماء التشريح المقارن فى أمر هـذا الحيوان واختلفوا عن موضعه فى مملكة الحيوانات ولا شك أنه نوع خاص وان العلم لم يصل حتى الآن ليعرفنا عن اسلافه التى تطور منها

وجنبا لجنب الى هذا الحيوان العجيب وجدت بقايا سلاحف كبيرة أطلق عليها تستيودو آمون Testudi Ammon نسبة الى أشهر آلهة المصريين القدماء

وقد عرض بعضها فى المتحف الجيولوجى .وتبلغ طولا نحو ٧٠ سنتياً وعرضاً ٦٥ سنتياً وارتفاعا ٤٠ سنتياً فهى أشبه بسلاحف مدغشقر فى الوقت الحالى مع اختلاف فى بعض الخواص وقد تكون احدى اسلاف هذه الأخيرة . وقد جمع من هـذه السلاحف عدد كبير بعضها فى حالة جيدة جداً من الحفظ

والثالث من الحيوانات التى تلفت النظر فى هذه الطبقات العليا حيوان كبير يسمى البليوماستودون Paleomastodon أى الماستودون القديم .والماستودون هو جد الفيل . وكان حجم البليوماستودون

كحجم الفيل الهندى الحالى وتدل عظامه التى كشفت بالفيوم على شبه كبير بينه وبين فصيلة الفيلة ولا يختلف عنها الا فى طول رقبته واستطالة فكيه . ويغلب أنه لم يكن له خرطوم طويل إذ كانت رقبته وطول فكيه كافية لتمكينه من الحصول على غذائه من الحشائش . وكان له نابان بارزان فى كل من الفكين الأعلى والأسفل . وكانت أسنانه أكثر تعقيداً من أسنان الميريثيريوم ولكنها أبسط من أسنان الماستودون الذى يليه فى سلسلة الاجناس المؤدية لنشوء الفيل

وللميريثيريوم والبليوماستودون أهمية خاصة دون باقى ما ذكرناه من الحيوانات اذ يملآن فراغا فى سلسلة الحلقات التى أدت الى نشوء فصيلة الفيلة . وقد كان العلماء يحارون فى البت فى أصل نشوء الفيل الذى وجدت بقاياه الكثيرة فى القارة الأوربية فكان كشف هذه الأنواع القديمة بالفيوم دليلا على أن الفيلة نشأت فى أول الأمر فى القارة الأفريقية ومنها نزحت أنواع الى أوربا وبها ارتقت وتطورت الى الفيل الحالى الذى عاد بعد ذلك الى مواطنه الأولى باوربا وآسيا

هذه نظرة سريعة الى بعض الأنواع من الحيوانات البائدة التى كشفت عظامها فى الأراضى المصرية وهى تنبىء بأن هذه المناطق الصحراوية الآن كانت فى عصور جيولوجية سابقة مرتعاً لأنواع مختلفة من الحيوانات التى بادت وانقرضت ومنها ما هو غريب الشكل والتكوين ومنها ما يمت بصلة قريبة لبعض الفصائل الحيوانية الكبرى

ودراسة هذه وتلك تؤدى خدمة عظيمة للعلم . فياحبذا لو أثرت هذه الكلمة فى أن تجتذب بهذا النوع من البحث طائفة من المتعلمين علهم يوفقون لخدمة العلم . وانى كفيل لهم أن سيجدوا فى ذلك لذة تعوضهم ماقد ينالهم من وراء البحث من تعب ونصب

الدكتور حسن صادق
وكيل مصلحة المناجم

أحية أم ميتة

قصة هندية للشاعر العالمى رابندرانات طاغور

« كادامبينى » هى أرملة فى بيت « ساراداسنكار » من اصحاب الأرض المزارعين لم يبق لها فى هذا الوجود أحد من أقاربها ، ومات زوجها ولم تعقب منه ولداً . وكانت تعطف على ابن سلفها « ساراداسنكار » ، وتولد هذا العطف من عنايتها بأمره فى المدة التى مرضت فيها أمه بعد ولادته بقليل. والمرأة اذا عنيت بطفل امرأة أخرى فانها لا تنظر له بعين القرابة وانما تنظر له بعين الحب الخالص ، والحب لا يبالى بالصلات التى يهتم بها الناس وانما يهتم بالحياة : وهكذا اجتمع حب « كادامبينى » العاطل واتجه نحو هذا الطفل الصغير . . . وفى ذات ليلة ماتت « كادامبينى » إذ وقف قلبها فجأة لسبب من الأسباب فوقفت بذلك ساعة الزمن فى صدرها الصغير الى الأبد بينما يسير العالم فى كل مكان سيره الطبيعى

وحمل الجثة أربعة من خدم «ساراداسنكار» البراهمة ليحرقوها دون احتفال — خوفاً من أن تزعجهم الشرطة — فى محرقة الجثث البعيدة عن القرية ، والتى تتكون من عشة بجانبها شجرة تين كبيرة و بركة محفورة من نهر كان يشق هذا المكان فيا مضى من الزمن ولكنه جف الآن تماماً . وهذه البركة تقوم بما يلزم للطقوس من ماء ، ولما كان الناس يقدسون النهر فقد قدسوا البركة باعتبارها جزءاً منه

ولما وضع الرجال الأربعة هذه الجثة فى العشة . جلسوا ينتظرون الخشب لاحراقها ، ولكن لم يمض طويل وقت حتى ضجر اثنان منهما ، فذهبا ليسألا عن السبب لتأخيره ، ومكث رفيقاهما يراقبان الجثة

ظل الرجلان صامتين فى هذه الليلة المظلمة ذات السماء الملبدة بالغيوم والتى لا يلمع فيها نجم ، ولم يفدهما المصباح أو أعواد الثقاب ، وكم حاولا اشعالها فلم يفلحا لرطوبتهـــا ، وهنا قال أحدهما « أما كان الأجدر بنا أن نحضر قليلا من التبغ معنا ؟ » فأجابه الثانى « أستطيع احضار كل ما نريد » فقال الأول : « أو تظن أنى أمكث هنا طوال الوقت وحدى ! » ، وانقطعت المحادثة مرة أخرى ، وأخذ كل منهما يعتب فى نفسه على الرجلين اللذين ذهبا لاحضار الخشب ، ويتصور انهما يمزحان فى إحدى الزوايا ؛ ولم يكونا يسمعان هنا غير نقيق الضفادع والجنادب المنبعث من البركة . . . ولكنهما أحسا فجأة ان الفراش يهتز اهتزازاً خفيفاً كأنما انقلبت الجثة الموضوعة فوقه على أحد جانبيها ! فارتعدت فرائصهما ، ثم سمعا بعد ذلك بقليل تنهداً طويلا ! فوثبا من العشة وأخذا فى العدو نحو القرية

وبعد عدو ثلاثة أميـال التقيا برفيقيهما عائدين ومعهما مصباح ، وطبيعى أنهما لم يذهبا لاحضار الخشب وانما ذهبا للتدخين واللهو ، وأعلنا أن شجرة قطعت وأن الرجال سيأتون بها عما قريب ؛ ثم قص كل منهما ما رأيا وما سمعا ،ولكن رفيقيهما لم يصدقاهما وعاتباهما على تأخيرهما

وعاد الأربعة الى العشة دون تأخير، ولكنهم عند ما دخلوها وجدوا الفراش خالياً لا أثر للجثة عليه ، فنظر كل منهم الى الآخرين . . . هل أخذها ابن آوى ؟ ولكن ليس هناك بقية من ثيابها . . . خرجوا و بحثوا فرأوا آثار أقدام صغيرة لامرأة سارت منذ زمن يسـير ؛ ولما كانوا يعلمون أن سيدهم ليس من البلاهة بحيث يصدق القصة لو سردوها عليه ، فقد تناقشوا فيما بينهم ، وقر رأيهم أن يقولوا له اذا سألهم أن الجثة أحرقت !

وجاء بعض الرجال بالخشب عند الفجر فأخبرهم البراهمة الأربعة أنهم أحرقوا الجثة بما كان باقياً من الخشب فى العشة ، و بالطبع لم يشك أحد فى هذا القول لأن الناس يعلمون أن جثث الموتى ليست متاعاً نفيـاً يقدم الناس على سرقته

٭٭٭

كل واحد يعرف أن الحياة قد تظهر فى الخفاء ولو لم تكن لها علامة ظاهرة ، أو تعود الى جسم ميت ظاهرمرة أخرى . . . « كادامبينى» الأرملة لم تمت ، وانما كانت قد وقفت آلة حياتها لجأة لسبب من الأسباب ، فلما عاد اليها الوعى رأت ظلاماً يحيط بها من جميع نواحيها ، وأدركت أنها ليست نائمة فى مكانها الذى تعودت النوم فيه ، ونادت « أختاه ! » ولكنها لم تسمع جواباً ؛ وما إن جلست فى فزع ورهبة حتى ذكرت فراش موتها والألم المفاجىء الذى أحست به فى صدرها وابتداء شعورها بالاختناق ، وذكرت أن أخت زوجها كانت تدفىء بعض اللبن للطفل عند ما غشى عليها وهى تقول « اختاه . احضرى الطفل إلى انى متعبـة ! » ، وكل ما حدث بعد ذلك انما هو سواد فى سواد كما تنقلب المحبرة على كتاب ، وتلاشى ذهنها ووعيها ، وأصبحت الحروف المكتوبة فى قاموس العالم مضطربة لا تتميز : والآن لا تذكر ما اذا كان الصبى ناداها بصوته المحبوب « عمتى ! » أو لا ، وهى لا تذكر اذا كانت قد تسلمت عند مفارقتها العـالم إلى رحلة الموت المجهولة تذكاراً هو بمثابة جواز مرور الحب الى عالم الصمت الأبدى . فكرت فى هذا المكان المظلم بادىء ذى بدء فى عالم الموت حيث لا يرى شىء ولا يسمع شىء ولا يعمل شىء بل كل ما فيه مراقبة خالدة ! ولكنها عند ما شعرت بالهواء الرطب يهب عليها من الباب المفتوح وسمعت نقيق الضفادع ذكرت حياتها القصيرة كلها ، وأحست فى لحظة بقرابتها من الأرض ، ثم أتاها برق من الضوء فرأت البركة وشجرة التين والسهل المنبسط والأشجار البعيدة ؛ وذكرت كيف كانت تأتى فى الليـالى المقمرة للاستحمام فى هذه البركة ، وكيف ظهر لها الموت مرعباً وقتذاك عند ما رأت جثة فى المحرقة

وكانت فكرتها الأولى أن تعود الى المنزل ، ولكنها أخذت فى منطق كهذا المنطق : « انى ميتة

فكيف أعود الى المنزل ؟ واذا عدت فسيرعبهم ذلك دون شك ! لقد تركت مملكة الأحياء فأنا لا بد أن أكون روح نفسى ! ، وأخذت تفكر كيف خرجت من بيت الحريم الى هذا المكان المنعزل فى منتصف الليل . إذا لم يكن ما توهمته صحيحاً . وأين هم الرجال المكلفون باحراق جثتها اذا لم تكن طقوس جنازتها قد انتهت ؟ ثم استعادت اللحظة التى ماتت فيها حيث كان المنزل مضيئاً وكيف تجد نفسها فى هذه المحرقة الخاليـــة المظلمة . . . ليس من شك والحالة هذه أنها ليست عضواً فى الجماعة الأرضية ، وليس من شك والحالة هذه أنها أصبحت مخلوقة غريبة بشعـــة ، أصبحت اداة تشاؤم ، أصبحت روح نفسها !

٭٭٭

وما إن مرت بها هذه الخواطر حتى انقطعت جميع الصلات التى تربطها بالعالم ، وشعرت أن لها قوة خارقة وحرية لا نهاية لها تستطيع أن تعمل بهما ما تشاء وأن تذهب الى حيث تشاء ؛ وداخلها جنون فاندفعت من العشة كالريح ووقفت فى أرض المحرقة وقد تركها كل أثر للخوف أو الخجل . . . ثم سارت فى السهل المنبسط حتى تخاذلت قدماها وثقل جسمها ، ولم تبال بالأرض المغمورة بالمياه ، فكم رأت نفسها واقفة يغطيها الماء الى ركبتيها ؛ وظهر الفجر فسمعت صياح الطيور من المنـــازل البعيدة ، وعندئذ ارتاعت ولم تستطع ادراك الصلة الجديدة التى تربطها بالعالم . ولم تكن خائفة وقت أن كانت بالمحرقة لأنها كانت ساكنة فى مملكتها الخاصة ، ولكنها هنا فى ضوء الصباح وفى العراء قد أرعبها الناس . . . لأن الأرواح والبشر التى تسكن جماعاتهما شواطىء نهر الموت يخيف بعضهم بعضاً !

٭٭٭

اتسخت ملابسها بالطين واكسبها سيرها بالليـــل وتفكيرها الغريب منظر المرأة المجنونة ، وفى الحق أن مظهرها كان من الغرابة بحيث يخيف النـاس ويدعو الأطفال إلى رجمها أو الفزع منهـا ، ولكن لحسن الحظ كان أول من رآها سائح فاقترب منها قائلا « أماه ! إن هيأتك تدل على أنك امرأة محترمة فالى أين أنت ذاهبة وحدك فى هذا التنكر » و بديهى أن « كادامبينى » نظرت اليه فى صمت ، ذلك لأنها لم تفكر فى اتصالها بالأرض وأن لها هيأة المحترمة وأن سائحاً يسألها بضع أسـئلة ، لذلك أعاد الرجل قوله « تعالى يا أماه أعيدك الى منزلك . أين تسكنين ؟ » عندئذ رأت أنه ليس من اللائق أن تعود الى مــنزل سلفها . ولما لم يكن لها أب تستطيع الذهاب الى منزله فقد ذكرت صديقة طفولتها جوجمايا ، التى لم ترها منذ الصبا والتى كانت تراسلها من حين الى آخر . وكم كان يحدث بينهما من شجار كتابى لأن « كادامبينى » تريد الابانة عن حبها الذى لا حد له و « جوجمايا » ترى أن صديقتها تبادلها حباً كحبها ، ولكنهما كانتا واثقتين أنهما لو تقابلتا فلا سبيل الى فرقتهما . . . ذكرت ذلك كله فقالت للسائح « إنى ذاهبة الى منزل « سريباتى » فى « نيسندابور » ولما كانت « نيسندابور » فى طريقه لأنه ذاهب إلى كلكتا فقد أوصلها الى المنزل الذى تريد الذهاب اليه

وتلاقت الصديقتان ولكنهما لم تتعارفا أول الأمر، ثم أخذت كل واحدة تميز ملامح الطفولة فى الاخرى بالتدريج، ولما فرغتا من رسوم المقابلة قالت «جوجايا»، «ما أحسن حظى! ماكنت أحلم أننى سأراك ثانية. ولكن كيف جئت يا أختى؟ ان أهل سلفك يمنعونك من الذهاب. أما فى ذلك ريب!» فصمتت الأرملة ثم قالت «صديقتى! لا تسأليني عن سلفى بل اعطنى زاوية من منزلك وعامليني كخادمة!» فصاحت صديقتها «ماذا؟ أعاملك كخادمة! أنت صديقتى الحميمة... أنت...» الى آخر ما هنالك من هـذه النعوت، ثم جاء «سريپاتى» الزوج فنظرت اليه الأرملة برهة وتسللت عارية الرأس ولم تظهر له شيئاً من الاحترام، وخشيت صديقتها أن يغضب زوجها فأخذت تدافع وتوضح، ولكن الرجل الذى يوافق دائماً على كل ما تقوله زوجته قطع حديثها وتركها مضطربة الخاطر بعض الشىء

سكنت الارملة «كادامبيني» الى صديقتها ولكنها لم تكن على وفاق معها اذ الموت كان شاخصاً بينهما! والمرأة التى لا تشعر بشىء من المودة نحو الآخرين يحيرها وجودها ويشوش أفكارها إذ هى ذاهبة الوعى. تديم النظر الى صديقتها وتقول فى نفسها «لها زوجها ولها عملها. انها تعيش فى عالم بعيد كل البعد عن عالمى! انها تقسم الحب والواجب فيما بينها وبين أهل الدنيا أما أنا فخيال فارغ! انها تعيش بين الاحياء أما أنا فأعيش فى الخلود!»

والصديقة قلقة من وجود الارملة معها ولكنها لا تفهم لذلك سبباً، والنساء لا يحببن الغموض لأنه ولو كان من السهل تحويل ذلك الغموض الى الشعر أو البطولة أو الفلسفة إلا أن كل ذلك عند المرأة لا يتصل بالأعمال المنزلية. لذلك ترى المرأة عندما لا تستطيع أن تفهم شيئاً فاما أن تهدمه أو تنساه أو تصوره من جديد فى صورة تنفعها، واذا لم يكن هذا أو ذاك تفقد صبرها وهكذا كان. فكلما زادت معنوية «كادامبيني» تفقد صبر صديقتها معها!

ونشأ خطر جـديد. ذلك أن الارملة كادامبيني كانت تخاف نفسها وتريد الهرب من نفسها! واولئك الذين يخافون الأرواح يخافون الذين وراءها، وحيث لا يرى الناس موضوع الخوف فهناك الخوف المقيم، ورعب الأرملة لم يكن من شىء خارجى وانما كان كائناً فى نفسها. فعندما كانت تأوى الى مضجعها فى الليل كانت تصيح وترتعد كلما رأت خيالها الذى يحدثه المصباح، وهكذا أفزعت أهل المنزل جميعاً حتى بدأ الذين لا يقولون برؤية الأرواح منهم يقولون برؤيتها!

وفى منتصف احدى الليالى خرجت كادامبيني من غرفتها وأخذت تصيح عند باب غرفة صديقتها وتقول «أختى! دعيني أنام عند قدميك لا تتركيني مع نفسى!» ولم يكن خوف صديقتها أقل من غضبها فكم كانت تود لو تطردها فى هذه اللحظة ولكن الزوج استطاع بعد جـهد أن يهدىء من روع الأرملة وأعطاها الغرفة المجاورة

وفى اليوم التالى دعى الزوج على غير انتظار الى مخدع زوجته التى بدأت تلومه قائلة «أتحسب

نفسك رجلا ؟ امرأة تهرب من منزل سلفها ويمر على ذلك شهر وأنت لا ترى أن من الواجب أن تعود . . هل يمكنك أن توضح هذا المسلك الشاذ ؟ ».

وللرجال خاصية الاحتيال على النساء عامة ، والزوج هنا يكاد يلمس امرأته ويقسم لها بأغلظ الأيمان أن شعوره بالشفقة نحو المرأة المنكودة ليس أكثر مما يجب أن يكون لكنه لا يستطيع الى ذلك سبيلا لأنه كان يفكر فى أن الارملة يجب أن يكون أهل سلفها قد أساءوا معاملتها وانها أتت الى منزله لأنها لا تجد منزلا غيره . فكيف يطردها ؟ وهكذا ترك الموضوع خصوصاً وأنه لا يريد أن يسأل كادامبينى أسئلة قد لا تود سماعها . . .

لهذا أخذت زوجته تجرب وسائل هجومية أخرى حتى رأى الرجل — رغبة فى السلام المنزلى أن من واجبه أن يبعث كلمة الى سلف المرأة . ولكن الرسالة قد لا تكون نتيجتها مقنعة ، ولذا رأى من الأوفق أن يذهب اليه بنفسه . . . والزوجة من ناحيتها قالت لضيفتها « أختى ! أرى من الأوفق ألا تمكثى هنا بعد الآن إذ ماذا يقول الناس ؟ » وعندئذ نظرت الأرملة الى صديقتها وقالت « وما اتصالى بالناس ؟ » فأجابتها جوجابا فى غضب « إذا لم تكن هناك صلة بينك وبين الناس فهناك صلة بيننا وبينهم ! كيف نفسر إيواء امرأة أخرى تنتسب لمنزل آخر ؟ » وهنا قالت كادامبينى « ما هى صلتى بك ؟ أنت تضحكين وتبكين ، أنت تحبين وتغضبين ، أما أنا فأبصر فقط ! أنت انسانة وأنا خيال ! ولست أفهم لم تركنى الله فى دنياكم هذه ؟ » وكانت نظرتها غريبة وحديثها غريباً حتى أن صديقتها فهمت شيئاً من أمرها ولو أنها لم تفهم كل شيء . وذهبت عنها وهى مثقلة بالافكار لا تستطيع طردها أو سؤالها

ooo

كانت الساعة العاشرة تقريباً من الليل لما عاد الزوج وكانت الارض غارقة فى سيل من المطر وكأنما لا يريد هذا المطر أن ينقطع وكأنما لا يريد الليل أن ينتهى ، وبادرته زوجته تسأله عما سمع هناك ، ولكنه أومأ اليها أنه سيجيبها بعد قليل . وخلع ملابسه وتناول عشاءه بينما كان عقله مضطرباً مشوشاً ثم أخذ يدخن ، وزوجته تقاوم حب الاستطلاع مدة . ولكن تلاشت هذه المقاومة فذهبت الى زوجها وسألته « ماذا سمعت هناك ؟ » فأجابها « سمعت أنك قد أخطأت دون ريب ! » وهنا غضبت الزوجة لأن النساء لا يخطئن أو اذا اخطأن فعلى الرجل العاقل ألا يذكر هذه الأخطاء بل عليه أن يحملها عنهن . . . كذلك كان حال هذه الزوجة فانها سألت زوجها فى غضب « هل تستطيع أن تخبرنى كيف أخطأت ؟ » فأجابها الرجل فى هدوء « المرأة التى آويتها الى منزلك ليست صديقتك كادامبينى ! » وعندئذ زاد غضبها لأنها سمعت ذلك القول الذى يدل على انها أخطأت وسمعته ممن ؟ من زوجها . وقالت محتدة « ماذا ؟ أو لا أعرف صديقتى ؟ وهل تظن أن من واجبى أن آتى اليك لتعرفها بدلا عنى ؟ أنت مازح حقاً ! »

وأوضح لها زوجها أنه لا حاجة الى المناقشة حول مهارته ، وأنه يستطيع أن يثبت ما يقول . فكادامبيني قد ماتت ! وهنا تقاطعه زوجته ، أنصت إلى ! أنت إما أخطأت المنزل و إما أخطأت ما قيل لك ! من قال اذهب بنفسك ؟ أما كان كافياً أن تبعث رسالة ؟ »

وتضايق « سريباتى » من عدم وثوق زوجته فى قدرته ، وأخذ يبرهن لها بجميع وسائل البرهنة على صحة ما يقول ولكن بلا جدوى . وانتصف الليل عليهما وهما باقيان فى مناقشتهما ومعارضة كل منهما للاخر ولو أنهما كانا متفقين على أمر واحد هو وجوب اخراج الأرملة من منزلها ، ثم ارتفع صوتهما ونسيا أن كادامبينى فى الغرفة المجاورة لغرفتهما . . . قال الزوج ، أقول لك أنى سمعت ذلك بأذنى ، فأجابته زوجته ، وماذا يهمنى ؟ أنا أرى جيداً بعينى ! ، وفى النهاية قالت الزوجة ، اخبرنى متى توفيت صديقتى ؟ » تريد بذلك أن ترى اتفاقاً بين تاريخ الوفاة و بين تاريخ رسالة من رسائلها . فأجابها الرجل الى ما طلبت ووجدت تاريخ الوفاة يسبق تاريخ مجيئها الى المنزل بيوم واحد . وعندئذ فزعت كما فزع زوجها

وفى هذه اللحظة نفسها فتح الباب بعنف وأطفأت الريح المصباح وعم الظلام المنزل من أوله الى آخره ، وكانت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل والمطر ما يزال يتساقط وابلا . . . وقفت كادامبينى فى الغرفة وقالت ، صديقتى أنا كادامبينى صديقتك التى تعرفين ولكنى لست حية ! أنا ميتة ! ،

فصاحت الزوجة من الرعب وألجم الخوف لسان الزوج ثم قالت : « انى لم أخطىء ، واذا لم يكن لى مكان بين الأحياء فكذلك ليس لى مكان بين الموتى . آه ! أين أذهب ؟ » ثم صاحت مرة أخرى كانما تريد أن توقظ الخلق النائم وسط ظلام الليل المطير ، آه أين أذهب ؟ » وأغمى على صديقتها أما هى فقد تركت المنزل الى العالم تبحث عن مكانها !

° ° °

من الصعب أن نعرف كيف وصلت المرأة إلى منزل سلفها لأنها لم تظهر نفسها لأحد . بل أمضت النهار فى معبد مهجور يكاد يقتلها الجوع حتى إذا أوى الناس الى منازلهم بعد ان أظلمت الدنيا خوفاً من المطر والعاصفة ، سارت نحو منزل حميها ، وما ان اقتربت منه حتى أسدلت نقاباً على وجهها ثم دخلت ، ولم يهتم البوابون بها لأنهم ظنوها خادمة ، وكانت السيدة زوجة « سارادا سنكار » تلعب الورق مع أختها الأرملة ، فتحاشت عيونهما كما تحاشت عينى الخادمة الموجودة بالمطبخ ، ودخلت غرفة الطفل الذى كان مريضاً ، ولست أدرى لم اختارت منزل سلفها اذ هى لا تدرى ، ولم اختارت غرفة الطفل دون بقية الغرف ؟ . .

وفى هذه الغرفة المضيئة رأت الطفل الهزيل من الحمى ، وهنا شعرت بظمأ قلبها اليه . . . آه لو استطاعت أن تضم هذا الجسم المتهدم الى قلبها ! ثم هجمت عليها خواطر أخرى ، لست حية

ولهـــذا لن يرانى أحد وأنا أضمه ، فها هى أمه تلعب الورق ، أمه التى كانت تتركه لى أعنى بأمره وتنهب كأنما ألقى عنها حمل ثقيل ، أمه التى تحب الاجتماع والحديث . . . ترى من يرعاه كما كنت أفعل فى الماضى ؟ » . وبعد قليل انقلب الطفل على جانبه وصاح بين اليقظة والمنام « عمتى ! » ، وهكذا لم ينس عزيزها عمته بعـــد ! ثم قال « اعطنى ماء » فصبت له الماء فى قدح من الأقداح وضمته الى صدرها وناولته إياه ، ثم نام مرتاحاً لأنه أخذ الماء من اليد التى تعودها . أخذت تهز سريره فاستيقظ بعد قليل وطوقها بذراعيه وسألها « هل مت حقاً يا عمتى ؟ » فأجابته « نعم يا عزيزى ! » وسألها ثانية « وهل عدت ؟ أرجوك ألا تموتى مرة أخرى » ، وعندئذ احتبس لسانها فلم تستطع جواباً

وجاءت احدى الخدم ومعها قدح من شراب البلح ولكنها أسقطته عندما رأت كادامبينى ، ولما سمعت زوجة « سارادسنكار » صوت القدح الساقط دخلت الغرفة ولكنها ثبتت فى مكانها عندما وقع نظرها على كادامبينى كتمثال من الخشب لا تستطيع الهرب ولا تستطيع الحديث ، وما إن رأى الطفل هذا كله حتى فزع وبكى وقال وهو يبكى « اذهبى يا عمتى اذهبى ! »

ولكن كيف تذهب ؟ لقد فهمت المرأة أنها لم تمت فها هى الغرفة القديمة على حالها ، وها هى الأشياء التى عهدتها ، وها هو الطفل بعينه ، كل هـذا عاد الى حالة الحياة دون اختلاف أو تغيير ، فى منزل زميلتها . أدركت أن صديقة الطفولة قد ماتت أما هنا فى غرفة الطفل فقد فهمت أن عمته لم تمت وقالت فى صوت مضطرب النبرات « أختاه ! لم تخافين ؟ انظرى هاأنذا كما تعهدين ! » ، ولكن أنى للمخاطبة أن تسمع فقد وقعت مغشياً عليها ، ثم دخل « سارادا سنكار » نفسه و يداه على صدره وهو يقول « هذا الطفل ولدى الوحيد فلم تظهرين له إذاً ؟ ألسنا أقاربك ؟ منذ رحلت عنا والطفل يهزل يوماً عن يوم و ينادى فى الليل وفى النهار ، فى اليقظة وفى المنام « عمتى ! عمتى ! » لقد تركت العالم ونحن على استعداد للقيام بجميع الطقوس الجنائزية ! » فأجابته المرأة لأنها لا تستطيع أن تتحمل بعد ذلك شيئاً « أنا لم أمت ! أنا حيـة ! » وتناولت إناء نحاسياً من الأرض وضربت به نفسها فسال الدم من جبينها وقالت « انظر ! انى حية ! » . وقف الرجل كالصورة وكم حاولت أن تثبت لهم أنها حية فما استطاعت الى ذلك سبيلا إذ من يصدق والجثة أحرقت ! . . . الطفل يصيح فى رعب وفزع والمرأتان المغشى عليهما ما زالتا فى مكانهما . عندئذ نزلت كادامبينى الى البئر وألقت بنفسها فيه وهى تصيح « لم أمت ! لم أمت » حتى سمع الرجل — مع أنه فى الطبقة العالية صوت اصطدامها بالماء . . . والمطر يسقط و يسقط حتى فجر اليوم التالى بل حتى ظهيرته . . . بالموت أثبتت حقاً أنها كانت حية !

(مترجمة)

عبد الحميد يونس

ابواب المجلة الجديدة

المؤلفات الجديدة

اسئلة القراء

اخبار عمرانية

تقدم العلوم والفنون

منتخبات من الجرائد والمجلات

المؤلفات الجديدة

الحركة الاشتراكية لرمزي مكدونالد

نقله الى العربية الاستاذ محمود حسني العرابي وطبعته المطبعة العصرية بالقاهرة
صفحاته ١٦٨ من القطع الكبير

يسرنا أن نعلن ظهور هذا الكتاب في العربية . فان الحركة الاشتراكية من مسائل العالم الكبرى ، ويجب على كل رجل مثقف أن يقف عليها ويتتبع تطوراتها ورمزي مكدونالد هو أحد أقطابها وهو الآن رئيس الوزارة البريطانية . وقد كان رئيس « الامية الثانية » وهذه الامية تمثل الجناح الأيمن للاشتراكيين كما تمثل « الامية الثالثة » في موسكو الجناح الايسر أي المتطرفين القائلين بالثورة . ولذلك فرجال روسيا يجحدون الامية الثانية ويلعنون رمزي مكدونالد لأنه يقول بوجوب التزام الخطط البرلمانية دون الثورة

وفي هذا الكتاب حاول المؤلف الجليل أن يصف الاشتراكية . ويوضحها للقارىء ويرد على المعارضين لها حتى لقد احتاج الى أن يشرح أحوال العلم والدين والادب تحت النظام الحاضر ويقابلها بما يمكن أن تكون عليه في نظام اشتراكي . ومن أحسن فصول الكتاب فصل يوضح فيه النزعات الاشتراكية واتجاهاتها عند الامم المختلفة

وقد أحسن الاستاذ حسني العرابي في اختيار هذا الكتاب ليكون مقدمة لثقافة اشتراكية نرجو أن تنتشر في مصر وتعد الرأي العام لاصلاحات اجتماعية منتظرة . ولغة المترجم سهلة سلسلة وهو شديد العناية بنقل المصادر بأسمائها الاوربية في الهوامش . والكتاب مثل جميع مطبوعات المطبعة العصرية غاية في اناقة الطبع وجودة الورق

تاريخ الأدب العربي تأليف لجنة وزارة المعارف

طبع بمطبعة الاعتماد بالقاهرة صفحاته ٢٧١ من القطع الكبير

ألفت وزارة المعارف لجنة من الدكتور طه حسين والاساتذة احمد امين واحمد الاسكندري وعلي الجارم وعبد العزيز البشري والدكتور احمد ضيف لوضع هذا الكتاب في تاريخ الأدب العربي وفقاً لبرنامج السنة الثالثة من الأقسام الثانوية . وقد بدأ المؤلفون بالعصر الجاهلي فتناولوا

الكلام عن الحالة الاجتماعية والدينية قبل ظهور القرآن . وذكروا هنا ان الشعر سبق النثر . ثم شرحوا بعد ذلك تأثير القرآن والحديث والأدب الاسلامي الجديد وظهور النثر . ثم وصفوا أحوال المدينة والبصرة والكوفة وبغداد والفسطاط وانتشار الثقافة العلمية فيها في العصر العباسي الاول . ويلي ذلك وصف العصر العباسي الثاني وظهور الأوطان السياسية وحالة الأدب في مصر والشام والاندلس . ثم تأثير الاتراك في اللغة العربية . ويتصل الكلام بعد ذلك الى العصر الحاضر مع أمثلة من انشاء الكتاب والشعراء في كل عصر

والكتاب تحفة في الأدب العربي الحديث يقرأه الانسان ويكاد يظن أن مؤلفه اديب أوربي قد حقق الأدب العربي وتاريخه. ونحن نعتقد أن الشبيبة التي تنشأ على مثل هذا الغذاء الذي قدمته اللجنة لها ستعيش وهي تحب اللغة العربية وأدابها

تراجم مصرية وغربية للدكتور محمد حسين هيكل

طبع بمطبعة السياسة بالقاهرة صفحاته ٣٩٩ من القطع المتوسط

يحتوي هذا الكتاب على عشر تراجم مصرية هي كليوبطرة واسماعيل باشا وتوفيق باشا ومحمد قدري باشا وبطرس غالي باشا ومصطفى كامل باشا وقاسم امين واسماعيل صبري ومحمود سليمان باشا وعبد الخالق ثروت باشا . ويحتوي أيضاً على أربع تراجم غربية هي بتهوفن وتين وشكسبير وشلي . ومع كل ترجمة صورة صاحبها

والتراجم كلها تقريبية أكثر منها تقديرية وأحياناً يستوي الاثنان في الترجمة ؛ والنقد والتقرير يختلط بعضهما ببعض . وهو في نقده منصف وفي تقريره مصيب ولكنه مع أنصافه لا يتعمق هذا التعمق الذي تراه من أندريه موروا في نقده لحياة دزرائيلي أو بيرون أو من أميل لدويج في بسطه حياة جوتيه . ولعل مثل هذا التعمق لم يئن أوانه بعد بالنسبة لعظمائنا الذين لانعرف من حياتهم ما يكفي للتحليل النفسي وتعرف البواعث . وما يزال تاريخ اسماعيل مثلا ناقصاً جداً من هذه الناحية فلسنا نعرف على وجه التحقيق تلك الدوافع النفسية التي جعلته ينزع الى أوربا نزوعاً تاماً في كل شيء

وهذا الكتاب على اختصار التراجم التي به يسد فراغاً كبيراً فان بعض الأشخاص الذين تناولهم مجهولين عند جمهور القراء . وحبذا لو جعل المؤلف لهذا المجلد قريناً آخر يذكر فيه تراجم اخرى للعظماء الذين أثروا في تاريخنا السياسي والاجتماعي

تاريخ الحركة القومية لعبد الرحمن الرافعي بك

طبع في مجلدين بمطبعة النهضة بالقاهرة صفحاتهما ٩٤٠ صفحة من القطع الكبير

نعتقد أن هذا الكتاب سيكون من الكتب الخالدة فى تاريخ مصر الحديث . والمؤلف لايصف كتابه بأنه تاريخ مصر فقط بل تاريخ الحركة القومية التى يردها الى أيام نابليون . وهو يقول هنا :

« بدأ العامل القوى يظهر على مسرح الحوادث السياسية خلال الحملة الفرنسية ، ذلك حين نهضت الامة لمقاومة الاحتلال الفرنسى بكل ما اوتيت من حول وقوة وجادت بكل تضحية ، واحتملت ضروب العنت وصنوف الاذى لتتخلص من احتلال الفرنسيين . وظل العامل القومي محتفظا بقوته بعد جلاء الجيش الفرنسى فلم يستطع الترك ولا المماليك ولا الانجليز أن يهزموه أو يقهروه أو يمحوه من الميدان . وكان من نتائجه بعد انتهاء الحملة الفرنسية ثورة الشعب على حكم المماليك ثم على الوالى التركى ثم المناداة بمحمد على واليا مختاراً على مصر ، ثم اخفاق الحملة البريطانية التى جردتها انجلترا لتحقيق أطماعها فى وادى النيل وهزيمتها فى رشيد والحماد . فالحركة القومية يرجع ظهورها الى مائة وثلاثين سنة ، من ذلك الحين ولدت وظهرت ، ثم أخذت فى النمو والتطور شأن الكائن الحي ، وتعاقبت عليها الادوار المختلفة ، فحينا كانت تقوى ، وآونة تضعف ، وطوراً تشتد وتنشط ، وتارة تخمد وتفتر ، على أنها طوال هذه السنين سائرة فى الجملة الى الامام ولئن أصابتها أطوار تراجع من ضعف أو فتنة فانها لا تلبث أن تعود الى النشاط والتقدم مجددة قواها متنفعة من التجارب طامحة الى المثل الاعلى »

ونحن نعتقد أن الحركة الوطنية لم تبتدىء إلا أيام سعيد واسماعيل. وأنها بلغت قوتها أيام البطل العظيم عرابى . أما مكافحة الامة لنابليون ثم للاتراك مدة محمد على فلم يكن العامل فيها وطنيا وانما كان دينيا . وكانت حالة الأمة أيام محمد على لا تختلف عن حالتها أيام المماليك بل ربما كانت أسوأ والاغلب أنها كانت تكره محمد على كراهة شديدة كما هو واضح من تاريخ الجبرتي وكانت تساق سوقا الى حروب بدون أية عاطفة وطنية . وكان محمد على ينظر الى مصر كأنها عزبته ولا يبالى أقل مبالاة بحالة المصريين ورقيهم . وهذا بخلاف سعيد واسماعيل الذين عملا لترقية الامة

والى هنا ينتهى اختلافنا مع المؤلف و بعد ذلك نقول أن الكتاب يعد تاريخا وافيا لمصر فى بداية القرن التاسع عشر

حياة المسيح لجوفاني بابيني

نقله الى العربية انطونيوس بشير ونشرته مكتبة العرب
بالفجالة بالقاهرة صفحاته ٣٦٨ من القطع المتوسط

جوفاني بابيني أديب ايطالي معروف ذاع اسمه من ثلاث أو أربع سنوات في أوربا كلها

لتأليفه هذا الكتاب الذي وصف فيه حياة يسوع الناصري وصف رجل يحبه . ومن أحب فقد أعذر . ولذلك فهو يتناول أشياء عدة بالوصف وكأنه يؤمن بها تمام الايمان بينما غيره يعدها من الاساطير . ويمكن أن يقال على وجه الأجمال ان رينان كتب حياة المسيح لغير المؤمنين بالاساطير . اما بابيني هذا فانه كتب هذه الحياة للمؤمنين الذين يسلمون بكل شيء تقريباً . ولذلك فان ناقل هـذا الكتاب الى العربية هو قس معروف وهو اديب عربي يمتاز باسلوب حسن وعبارة صحيحة . ولو أنه وجده ينحو نحو الشك لما نقله . فيمكن القارىء الذي يتذوق السذاجة أن يلتذ قراءة هذا الكتاب فانه عطر بسذاجة الدين وحلاوة الايمان

انشاء فاروق

The Farouk Composition Book

تأليف المستر كوترونى ومحمد كمال واسعد نافع ومحمد اسماعيل ابراهيم طبع بمطبعة الاعتماد بالقاهرة صفحاته ٢٤٠ من القطع المتوسط وثمنه ١٠ قرشاً

وضع هذا الكتاب بالانجليزية لتلاميذ المدارس الثانوية وهو يحتوى على ٢٠٠ موضوع انشائي للسنوات الخمس . والموضوعات تختلف من وصف نزهة فى النيل الى وصف حريق شب فى منزل الى موضوعات اخرى أصعب من هذه كالصحة في مصر والصناعات المحلية وخزان اسوان . والمؤلفون معلمون معروفون قد مارسوا التعليم وعرفوا الاغلاط التي يقع فيها التلميذ المصرى . وهم يتوخون العبارة السلسلة فى الالفاظ السهلة . والتفوق في الانشاء سواء منه العربي أو الانجليزي لا يكون بالقواعد وانما بالألفة واعتياد الاساليب الحسنة . ومن هنا فائدة هذا الكتاب الذي يسهل على التلميذ الانشاء الانجليزي

مطبوعات جديدة

﴿ قصة باريزيت ﴾ لمؤلفها لوي فياد وترجمة الاستاذ توفيق عبد الله صفحاتها ٣٩١ من القطع الكبير وهي من القصص التى ألفت السيناتوغراف فهي تحتوي على مفاجآت وقد جمعت « شيئاً من عظيم الخلق ووافره وجانباً حلواً من الابتسام والضحك . وحسبك أن يهان بطلها وأن يذوق مر العذاب ويبتلي بالسجن والتشريد والافلاس فى سبيل المحافظة على سر لم ترتض شفتاه الانفراج عنه . . . »

﴿صوت الماسونية﴾ تأليف زكي ابراهيم صفحاته ١٩٤ من القطع الكبير يحتوي على مقدمة في أغراض الماسونية وأساليبها وخلاصة عن تاريخها وما أدته من الخدم للناس وللمبادىء الحرية والعدل ثم وصف لأحوالها عند الأمم المختلفة مع احصاءات وافية للدلالة على مقدار انتشارها بين هذه الأمم . وبالكتاب فصل خاص بمصر ومقدار الحركة الماسونية فيه ومنه يعرف القارىء أن محمد عبده والافغاني كانا من أعضاء الماسونية . والكتاب حافل بالصور للمحافل المختلفة ولأعيان الماسونيين

﴿ الوصيف في فن المعمار ﴾ تأليف المهندس المقاول نجيب جبران يحتوي على ٤٢ صفحة ومزين بل مزخرف بالرسوم الملونة عن ترسيمات مختلفة لمنازل في أحجام شتى . وبه فصول عن المونة وتركيبها والخرسانة المسلحة والزخارف والبويات والدهان بالزيت والغراء والدك بالخرسانة ومثل هذا الكتاب يجب أن يقتنيه كل من يزمع البناء أو كل من يحب أن يعرف طرق البناء الحديث . والكتاب في طبعه واخراجه تحفة هي أحسن اعلان عن مؤلفه

﴿ العاصفة ﴾ تأليف شكسبير وترجمة ناشد سيفين صفحاتها ١٥٨ . وهذه القصة هي المقررة على طلبة البكلوريا ومع أننا نعتقد أن الطالب يجب أن يقرأ القصة بالانجليزية ويتفهم معانيها المغلقة بعبارة انجليزية ما دام القصد هو امتلاك اللغة والقدرة على الاداء بها وفهم مغلقها فانا نظن أن قراءة هذه الترجمة تفيد إذا كان الطالب ضعيفا . ولكن يجب اذا نوى ذلك ألا يضع الاصل الانجليزى والترجمة العربية ويقابل هذا بذاك . وانما عليه أن يقرأ الترجمة العربية كما تقرأ القصص حتى يخرج منها بخلاصة تساعده على فهم القصة الانجليزية

﴿ منهج الانشاء ﴾ تأليف محمد على أبو شنب ومصطفى محمد ابراهيم صفحاته ١٦٠ من القطع المتوسط يحتوى على نماذج متنوعة لطلبة المدارس الابتدائية والثانوية مضبوطة ومشروحة ومن العناوين يقف القارىء على قيمة الكتاب : فوائد تعليم المرأة . مناظرة بين القط والكلب . النظافة وأثرها الخ

﴿ رواية غرام الراهب أو الساحرة الجدران ﴾ تأليف الكبس بوفيه صفحاتها ٥٠٠ من القطع الكبير وهي قصة امرأة بغى يقول المؤلفانها وقعت وليست ثمرة الخيال وحده . وهي مكتوبة بأسلوب حسن وعبارة سلسلة تتعدد وقائعها ومدهشاتها في غضون صفحاتها الكثيرة

أخبار عمرانية

هل الخمر مفيدة

منذ سنة ١٩٢١ والوفيات تتزايد فى الولايات المتحدة بين جميع من تزيد أعمارهم على الثلاثين . وهناك ثلاثة تعليلات لهــذه الزيادة لا يعرف أيها أفعل من الآخر أو أيها له الرجحان . فالتعليل الاول هو انتقال السكان من الريف الى المدن أو هو التمدن وما فيه من زحمة ونشاط قد لا يتحملهما الجسم الانسانى . والثانى هو الغاء الخمور فى السنوات العشر الماضية لأن الخمر تنبه الجسم والقلب وربما يكون هذا التنبيه مقوياً لمن جاوزوا سن الثلاثين . والثالث هو شيوع الخمور السيئة التى يتجر بها المهربون . فقد كانت الخمر قبل التحريم تباع جهراً والحكومة تراقب صنعها فلا تسمح ببيع السيء منها . أما الخمور المهربة الآن فلا يمكن الحكومة مراقبتها وقت صنعها

فاذا كان لتحريم الخمر علاقة بزيادة الوفيات فان هذه العلاقة لن تتوضح الا بعد نحو عشرين سنة حين يزول الجيل الذى تعود الخمور ثم انقطع عنها . وعندئذ نعرف بمقابلة الامريكيين الذين نشأوا لا يعرفون الخمور بالاوربيين الذين يشربونها ونرى أيهم أطول أعماراً

صناعة جديدة

فى امريكا الشمالية أى فى كندا والولايات المتحدة والاسكا نحو ٥٠٠٠ ضيعة لا يشتغل اصحابها بزرع المزروعات أو تربية الخراف وانما يشتغلون بتربية الثعالب والدبب وسائر الحيوان الذى ينتفع بفروه لا بلحمه . ويقدر المال المؤثل فى هذه الضياع بنحو خمسة ملايين من الجنيهات . وقبل ٢٠ سنة كان المستعمل من الفراء يؤخذ من الصيد فقط . أما الآن فالحظائر تبنى وتربى فيها الحيوانات فاذا بلغت كامل نموها سلخت . وأغلى الفراء هى فراء الثعلب الفضى فان الفستان أو المعطف الذى يصنع منه قد يبلغ ثمنه بضع مئات من الجنيهات . وقد بيع فى العام الماضى من هذه الضياع ٨٠٫٠٠٠ فروة من فراء هذه الثعالب

المطبوعات الانجليزية فى سنة ١٩٢٩

بلغ عدد المطبوعات الانجليزية فى السنة الماضية ١٢٫٩١٢ كتاباً منها ٣٨٠ كتاباً مترجماً عن اللغات الأخرى ومنها ٣٢٠٧ كتب أعيد طبعها . ومن هذه الكتب ٦٠ خاصة بالطيران و ٤٤٢ خاصة بالتراجم والتاريخ و ٣٦ خاصة بالمشرقيات و ٦٠ بالنفسيات و ١٨٣ بالعمران و ١٨ بالراديو

وأكبر عدد من المؤلفات خاص بالقصص اذ بلغت ٣٧٠٦ وأقل عدد خاص بجمع الطوابع البريدية وهو خمسة مؤلفات

الاخلاق الجديدة

يتطور العالم فى الاخلاق الى أحسن وليس الى أسوأ كما يتوهم المتشائمون والمظلمون . فقد مات حديثاً المستر أدوارد موجنز فى برمنجهام بانجلترا فأوصى بوصية طويلة جاء فيها قوله : « أحب أن أعلن لاصدقائى واقاربى انه فى حالة اقتران زوجتى بزوج آخر بعدى ان عملها هذا يطابق رغبتى الأكيدة . واعتقادى انها اذا أسرعت فى التزوج وأصبحت بذلك انها غير قادرة على المعيشة الوحدانية فانها تقدم لى بذلك التحية لذكراى » .

واذا قابلنا بين هذا العمل وبين ذلك الهندى الذى يطالب أو كان يطالب زوجته باحراق نفسها بعد وفاته علمنا الفرق بين القديم والحديث او بين الشرق والغرب

نهضة الاتراك

بدلا من كتابة المقالات عن قيمة الاصلاحات التى قام بها مصطفى كمال نظن أن القارىء يمكنه أن يقنع بايراد التغييرات التى قام بها مصطفى كمال دون التعليق عليها. وهى : ١ — الغاء السلطنة والخلافة ٢ — فصل الدين من الدولة . ٣ — الغاء التعليم الدينى من المدارس . ٤ — حل طوائف الدراويش واستصفاء أوقافهم . ٥ — استصفاء جميع الأوقاف الدينية . ٦ — الغاء الطربوش . ٧ — الغاء السنة الهجرية . ٨ — اتخاذ الحروف اللاتينية . ٩ — ادخال القوانين السويسرية واستعمالها فى المحاكم . ١٠ — الغاء الضرار أى تعدد الزوجات . ١١ — تعليم الأناث والذكور معا فى المدارس الابتدائية ١٢ — تعليم الموسيقى الأوربية بدلا من الموسيقى الشرقية . ١٣ — ايجاد حركة صناعية واسعة النطاق ومعاونة الحكومة التركية لها . ١٤ — تعميم التعليم الالزامى بين البالغين فضلا عن تعميمه بين الصبيان .

ثروة الولايات المتحدة

تصدر الولايات المتحدة الامريكية الى أقطار العالم ٧٠ فى المائة من حاصل العالم من البترول ومنتجاته . و ٩٠ فى المائة من الصور السينمائية . و ٦٠ فى المائة من الحاصلات الزراعية . و ٦٥ فى المائة من الأحذية و ٥٥ فى المائة من النحاس و ٥٢ فى المائة من الفولاذ ومثلها من الأدوات الكهربائية

الزراعة فى انجلترا

يهجر الناس الزراعة فى انجلترا وينتقلون من الريف الى المدن حيث المصانع التى تجذبهم باجورها المرتفعة وأرباحها العظيمة . وقد ذكرت احدى المجلات أن ضيعة لا تبعد عن لندن أكثر من ٣٠

ميلا وفيها منزل حسن للسكنى عرضت للبيع فلم يبلغ ثمن الفدان ٢٧ جنيهاً . وذكرت ايضاً أن ضيعة تبلغ مساحتها الفى فدان وتبعد عن لندن نحو ٦٠ ميلا و بها مساكن يمكنها أن تأوى ١٣٠ شخصاً تعرض الآن للبيع بنحو ٦٠٠٠ جنيه فقط

مصارعة الثيران فى اسبانيا

مصارعة الثيران فى اسبانيا هى ميراث رومانى قديم اذ هى تمثل الآن مصارعة المجالدين الرومانيين حين كان الناس يتفرجون برؤية اثنين يتصارعان و يذبح أحدهما الآخر . ولكن المصارعة الاسبانية الآن ليست بين متصارعين من البشر بل بين الفارس الذى يحمل حربته و بين ثور قد ضرى على النطاح والهجوم . والعادة ان الثور ينطح الفرس فيبقر بطنه و يقتله اما الفارس فينجو . وقد قتل سنة ١٩٢٧ نحو ٩٠٠٠ فرس والجمهور المتفرج لا يحسب نفسه قد انتصف من اللاعبين ما لم ير عدداً كبيراً من الخيول مقتولا . ولكن الحكومة الاسبانية رحمة بهذه الخيول أمرت بوضع دروع من القطن حول الفرس لحمايته من الثور وقد نجحت هذه الطريقة حتى انه لم يقتل سنة ١٩٢٨ سوى ١٥٠٠ فرس

وقد سنت الحكومة الاسبانية شرعة جديدة لمنع الشبان والفتيات من رؤية هذه المصارعة ما لم يبلغوا الرابعة عشرة . ومما يذكر بهذه المناسبة أن أعظم الذين يؤيدون هذه المصارعات هم أصحاب المزارع لأنهم يربحون ربحاً جزيلا من تربية الثيران للمصارعة

الخمور فى امريكا

المستر هيرست هو أعظم صحفى فى الولايات المتحدة لا يقل قراء صحفه المختلفة عن عشرة ملايين . وقد أذاع منذ مدة اعلاناً عن مكافأة قدرها خمسة آلاف جنيه لمن يكتب أحسن مقال يقترح فيه نظاماً آخر يحسن استعماله فى الولايات المتحدة بدلا من تحريم الخمر بحيث يفضل التحريم بنتيجته وآثره . وقد نال هذه المكافأة القاضى هويت بمقال لا تزيد كلماته عن ثمانمئة كلمة اقترح فيها اجازة بيع الخمور المخمرة كالنبيذ والبيرة ومنع بيع الخمور المستقطرة مثل الوسكى والكنياك ونحوهما . وقد أبدى ٩٩ فى المائة من المتسابقين رأيهم بالموافقة على الرقابة الحكومية للخمور كما هى الحال فى كندا المجاورة للولايات المتحدة

وقد نقل القاضى هويت هذه العبارة التى قالها امريكى عظيم هو توماس جيفرسون قبل ١١٢ سنة وهى : « اذا كان النبيذ رخيصاً فالأمة لا تسكر . وحيث يغلو ثمن النبيذ وتقوم مقامه الخمور القوية فالامة لا تعرف الصحو »

و يبدو أن هذا الرأى هو الذى تتجه نحوه وتكاد تطبق عليه جميع الامم المتمدنة الآن

تقدم العلوم والفنون

الاطفال والخدم

يحدث فى الأسر المتوسطة والغنية ان يوكل الآباء تربية الأطفال الى الخدم على غير قصد منهم. وذلك لأنهم يسأمون لعب الأطفال وحديثهم فيتركونهم طول نهارهم مع الخدم والمربيات فينشأ الأطفال فى وسط منحط يسمعون من حولهم أحاديث عن الطبخ وقصصاً عن الخدم فى المنازل الأخرى حتى لقد يشب الصبي أو الصبية الى العاشرة أو ما فوقها وهو يقص القصص عن أحد الخدم كأنه بطل

والاطفال لا ينشأون النشأة الصحيحة الا اذا عاملناهم كأنهم أفراد لهم كرامتهم فنحادثهم فى جد ونكسبهم آراءنا ونظرنا للاشياء دون قهر أو اجبار . وخير من يحادث الاطفال هم الآباء الذين يجب عليهم أن يضحوا بقليل من راحتهم لمصلحة اولادهم فيؤاكلوهم و يرافقوهم فى فسحهم ويحادثوهم عن مختلف الشئون

العناية بالصحة

فى الولايات المتحدة الامريكية ١٤٣٠٠٠ طبيب و يبلغ عدد المتصلين بالصحة من عمال المستشفيات والصيادلة والاطباء والقابلات ونحوهم ١٥٠٠٠٠٠ شخص

أحجار الحمام

ما تزال أحجار الاستحمام مستعملة فى بعض الأوساط فى مصر . والحجر الذى يستعمل لهذا الغرض يكون عادة رخفاً كأنه أسفنج منعقد وهو من الأحجار النارية المنصهرة . ويبدو من البحث فى الاثار ان هذه الأحجار استعملت لتنظيف الجسم قبل اختراع الصابون . كان الانسان يطلى الجزء القذر من جسمه بالطين او الرمل ثم يحكه بهذا الحجر فيذهب الوسخ . وقد وجدت هذه الأحجار فى اثار رومية واليونان والعراق. ولما أغار الأتراك السلاجقة على سوريا والعراق وفارس أشاعوا أحجاراً مزخرفة جاءوا بها من تخوم الصين وهى أصل الزخارف التى ترى للان فى هذه الأحجار فى مصر

ذكاء الطفل

فى جامعة شيكاغو معهد لدرس أحوال الطفل . وقد فحص هذا المعهد عن الف طفل فوجد

أن هناك علاقة بين التبكير فى النطق والتبكير فى الذكاء . وان الاناث ينطقن فى المتوسط قبل الذكور . وان الطفل الذى يبول فى فراشه الى السنة الثالثة يكون عادة متأخراً فى النطق

أحجام الاحياء

العامل الذى يقرر حجم الاحياء هو الجاذبية . وهناك عوامل أخرى صغرى ولكن الجاذبية هى العامل المهم . فحيث يحتاج الحي الى مقاومتها كثيراً كالطائر فى الهواء يكون حجمه صغيراً . واذا كانت تقتصر المقاومة على الحركة على اليابسة كان حجمه أكبر . واذا كانت المقاومة للجاذبية قليلة كما فى البحار حين يحمل الماء الحيوان بلغ الحيوان أكبر حجم ممكن . اما اذا لم يتحرك بتاتا كما هى الحال فى الاشجار فان الحجم يبلغ مدى عظيما

ولهذا السبب فان أكبر الاحياء على الكرة الارضية هى من الاشجار فان وزن بعض الاشجار يبلغ الف طن و يزيد . و يليها القياطس فان وزن القيطس يزيد عن مائة طن وقد يبلغ ١٥٠ طنا . والطن ٢٢ قنطاراً . و يلى القياطس أنواع من الحيوان الرخو كالاخطبوط يبلغ وزن الواحد منها ٣ أطنان ثم يليها حيوانات من الجوفان تبلغ أحيانا نصف طن . و بعض السراطين يبلغ ٥٠ رطلا . وكل هذه الحيوانات مائية

وأصغر الحيوانات هى العناكب والحشرات . فالقرية من النمل التى تبلغ مليون نملة لا تزيد فى الوزن عن انسان واحد . ومن الحشرات ما يدق فى الحجم حتى انه يقل عن الجرثومة المنوية الانسانية ومع ذلك تكون له أرجل وعضلات وجهاز عصبى ودماغ

ومما يلاحظ أن أكبر أنواع الحيوان هى من الفقاريات وأصغرها من الحشرات . وهذا يدلنا على أن رقى الحيوان فى التطور يساعد على الضخامة

الوراثة والوسط

هل الأخلاق مكتسبة أو موروثة أو بعبارة أخرى أيهما أفعل فى تقرير الاخلاق الوراثة أم الوسط ؟

هذه المسألة من أعقد المسائل واكثرها مثاراً للخلاف وأصعبها حلا . والسبيل الوحيد لحلها هو ملاحظة توأمين متطابقين لا يعيشان معاً فى بيت واحد بل ينشأ كل منهما فى وسط مستقل يختلف من الوسط الآخر . وقد وصفنا التوأمين بأنهما يجب أن يكونا متطابقين أى انهما نشأ من جرثومة واحدة وذلك لان من التوائم ما يكون كاذباً يولد التوأمان وليس بينهما من القرابة سوى جوار الحمل ولكن كلا منهما نشأ مستقلا بجرثومته المنوية . وفى هذه الحالات يحدث أن يكون التوأمان ذكراً وانثى

ولكن التوأمين المتطابقين هما في الواقع شقين من جرثومة واحدة ولذلك فانهما يتطابقان في الاعضاء والملامح والكفايات الوراثية . وقد عمد الاستاذ لانج الالماني الى درس أخلاق هذه التوائم. فن المعروف أن الاغنياء يتبنون توائم الفقراء فيأخذون توأماً ويتركون للام توأماً آخر على سبيل التخفيف. فيتربى كل من التوأمين في وسط مختلف أحدهما في غنى والآخر في فقر. وقد وجد الاستاذ لانج أن الوراثة هنا واضحة وان اختلاف الوسط لا يؤثر في الاخلاق. وقد عمد الدكتور نيومان الامريكي الى تحقيق هذه النتيجة فحص عن خمسين توأماً فألفاها كلها تؤيد ما استنتجه الاستاذ الالماني وهو ان الاخلاق ثمرة الوراثة أكثر جداً مما هي ثمرة الوسط

الجو للاضاءة

كان الانسان منذ أن عرف النار يستضيء باللهب فكانت مصابيحه مشاعل أو مسارج أو شموعاً ولكن الانسان المتمدن الآن قد استغنى عن اللهب حتى لهب البترول والغاز وصار يستعمل الجو للاضاءة كما هو الحال في المصابيح الكهربائية حيث تحمي الاسلاك حتى تصير جمراً مضيئاً

الربو مرض عصبي

ليس الربو مرضاً صدرياً كما يتوهم المصاب به وانما هو مرض عصبي . وأعراضه الواضحة اختناق يشعر به المصاب في الساعات الأخيرة من الليل فيستيقظ وهو يلهث لهثاً عنيفاً . وقد لا يقع ولكنه لا يستطيع التنفس

وعلى المصاب أن يتجنب الأطعمة الثقيلة فلا يتناولها قبل النوم . وهناك سجاير خاصة بالربو تؤثر تأثيراً مهدئاً للاعصاب بمكن أن يدخنها من آن لآخر . ولكن عليه قبل كل شيء أن يعرف أن مرضه عصبي ولذلك يجب عليه أن يتوقى كل ما يوهم الاختناق مثل الغبار أو الهواء المحبوس أو الدخان

الشعر في الجاهلية

من المعروف أن الدكتور طه حسين والدكتور مرجوليوث يقولان بأن ما ينسب من القصائد العربية الى زمن الجاهلية غير صحيح . وقد تبسط الدكتور طه حسين في هذا الموضوع ونشر عنه كتاباً أورد فيه من الادلة ما يبعث الشك على الاقل في صحة ماروى من الشعر الجاهلي ان لم يبعث الانكار. ونظرية الدكتور طه حسين تنحصر في أن معظم ما يروى من الشعر الجاهلي إنما أنشئ في القرن الأول من الاسلام وينسب الى الجاهلية لغايات قومية عصبية . وقد خطب الدكتور جيب في الشهر الماضي في لندن عن هذا الموضوع فقال أن القصيدة العربية اتخذت شكلها أو صيغتها المعروفة

فى بلاط كنده فى الزمن الجاهلى . وكنده هى قبيلة امرىء القيس . وقد ذكرت الصحف أن الدكتور مرجوليوث كان حاضراً فلم يسعه الرد على هذه الخطبة بل أرجأ ذلك الى أن يستعد له

ولابد أن القارىء العربى يهمه هذا الموضوع بود أن يستقر على الحقيقة فى هذا الخلاف . والكلمة العليا فيه للدكتور طه حسين الذى يعد الآن محور هذه المناقشة

المعالجة بالاشعة

الأشعة التى تعالج بها الأمراض الآن ثلاثة أنواع هى : ١ — أشعة رونتجن . و ٢ — أشعة الرديوم . و٣ — الأشعة التى فوق البنفسجية

وأشعة رونتجن هى التى تسمى أشعة اكس وهى التى تخترق الجسم الانسانى وتستعمل فى تشخيص أمراض الكلى والكبد وتبين مكان الحصا . وهى تستعمل الآن فى معالجة الفوطر أو تضخم الغدة الدرقية

وأشعة الرديوم هى التى تصدر عن هذا العنصر وهى الآن أعظم علاج معروف للسرطان فانها اذا سلطت عليه أماتت أو رامه أو نوابه وبعثت النشاط فى الخلايا السليمة حوله . ويقال أنه قد استغنى بها عن العمليات الجراحية للسرطان

والأشعة التى فوق الشعاع البنفسجى هى أحدث الأشعة فى الاستعمال . وهى موجودة فى ضوء الشمس وخصوصاً عند بزوغ الشمس وقبيل غروبها . وقد صنعت مصابيح خاصة لها وهى تقوى الجسم وتنشط الخلايا وهى الآن أعظم علاج معروف للأكنة أى حب الشباب وللكساح فى الأطفال وبعض الأمراض الأخرى

تبرير العلم

خطب الدكتور مليكان مكتشف الاشعة الكونية فى الجمعية الامريكية لتقدم العلوم فقال : ان الناس يعزون الحروب وفظاعتها الى التقدم العلمى ولكنهم ينسون أن المواد المتفجرة تستعمل سماداً للزراعة كما تستعمل قنابل وطرابيد . وان الفولاذ أكثرما يستعمل سككا للحراث وقضبانا للقطار وأقل ما يستعمل سيوفاً ومدافع . ثم قال أن التقدم العلمى سيمنع الحروب فى المستقبل لأن العلم هو العدو الحقيقى للحرب وذلك أن المسألة الكبرى فى المستقبل تلك المسألة التى تخشى منها الحروب هى التفاوت بين السكان والأطعمة . وليس لنا من سبيل الى ايجاد التوازن بينهما الا بالعلم فهو الذى سيقينا من الحروب بايجاد هذا التوازن . ثم ذكر الآلات فقال انها لم تقيد الانسان وانما أطلقته من الكد الطويل وان العامل الذى يعمل الآن فى مصنع فورد له من الحرية والفراغ ما لا يجد مثلهما الفلاح الذى يدأب نحو ١٢ ساعة وهو يعمل فى الحقل

منتخبات من الجرائد والمجلات

قيمة الخطأ

عن جود توطس لهنرى فورد : « الاخطاء التى تقع انما هى نتيجة البحث النشيط سواء وقعت فى بناء آلة جديدة أو فى العالم الاجتماعى . فان العقل ينشد غاية ما فيتوسل اليها بأى ثغرة تنفتح أمامه ويأخذ فى الاستكشاف حتى يعرف أن هذه الثغرة لا تؤدى الى الغاية المنشودة . ثم يعمد الى ثغرة أخرى و يعود عنها فيكتسب فى كل خطوة تجارب جديدة . وليس هذا ضياعا للوقت وليس هو شراً جديراً بالانتقاد وانما هو جزء من المعرفة . فانا فى معارفنا قد اهتدينا الى أشياء ومبادىء نعمل بها ولكننا فى معارفنا هذه أيضاً قد اهتدينا الى أشياء لا نستطيع العمل بها . وكل من المعارف الايجابية والسلبية نافع لنا . فليس علينا أن نبالى ونقلق من الاخطاء لأن الخطأ جزء من التجارب »

المالك والمستأجر

عن البلاغ : « رفع رجل أجنبى وزوجته دعوى أمام المحكمة المختلطة بالاسكندرية يطلبان فيها الحكم لهما بتعويض على بواب منزل بالتضامن مع مالكه لأن البواب ضربهما وأحدث بهما اصابات مع آخرين من أصحابه ومنعهما من دخول المنزل بسبب تأخرهما عن الاجرة فحكمت المحكمة الابتدائية على البواب بتعويض ثمانمائة جنيه مع شركائه فى الجريمة واستؤنف الحكم وبعد المرافعة حكمت المحكمة بتعديله وجعل التعويض ٣٠٠ جنيه فقط على البواب وشركائه وصاحب الملك أيضاً متضامنين . وقالت المحكمة فى حكمها أن صاحب الملك مسئول عن أعمال بوابه وتصرفه

مصطفى كمال واللعب

عن الملاكم : قال مصطفى كمال فى حديث : « انظروا الى الشعوب السكسونية فانها تسيطر على العالم لأنها لا تجيز لنفسها أن تصبح خاملة ، ولا أزال أذكر أننا يوم كنا ننازل الانجليز أثناء الحرب العظمى جاءنى أحد الضباط وقال لى ان احد الضباط الانجليز قادم وبيده علم أبيض وما كان أشد دهشة جنودنا حينما علموا أن الانجليز يطلبون هدنة أربع ساعات لتتمكن فرقتهم من لعب الفوت بول . وانى من المغرمين بهذه اللعبة وما زلت أذكر أنى فى كل مدة إقامتى فى انجلترا لم أترك مباراة سوى مباراة واحدة فاتتنى من مباراة الفوت بول المهمة فأجبت الانجليز بأنى أقبل الهدنة المطلوبة اذا أجازوا لى حضور المباراة مع جماعة من زملائى فرضوا وشاهدت لعبهم مع عشرة من اركان حربى

« وبينا نحن عائدون الى خنادقنا التفت إلي احد القواد القدماء وقال لي يا مصطفى باي إننا سنطرد الانجليز من هنا ولكننا لن نستطيع قهرهم فان امة يطلب جنودها في إبان المعمعة هدنة ليجروا العابهم هي امة لا تقهر »

تفوق الاسلام

عن الفتح : « والفرد اليهودية بالعدل والنصرانية بالفضل يجعلهما غير صالحتين للبشر لأن الاولى تدمر وتحمل متحملها على الانتقام فتكون الارض مرسحاً للحوادث الجسام والثانية تسبب الفوضى — فلا حكومة ولا شعب — فيسرى الفساد ويهلك العباد . والاسلام جمع بين العدل والرحمة ، وامر بوضع كل منهما في نصابه حتى يكون على جادة الحق فيكون الخوف والرجاء عنده كجناحي طائر لا تبطره النعمة فيطغى ولا يخيفه العدل فييأس

« والحكومات الغربية تسوس شعوبها في كثير من الاحيان كما يريد الاسلام ، بل الكثير من قوانينها مشتق من التشريع الاسلامي وان غضب مقلدو الغرب وعابدوه . ولو انها حكمت رعاياها بالقانون المسيحي لسارع اليها الخراب والدمار ، ولو طبقت القانون اليهودي لامتلأت الارض باللهب واشتعلت النار »

ضريح سعد

عن البلاغ : « وسيكون البناء من طراز فرعوني لامن طراز عربي ، وقد احسنت الوزارة في ذلك لأننا ونحن ابناء الفراعنة مطلوب منا ان نحيي فنهم قبل اي فن آخر . ولاجدادنا هؤلاء فن خاص تعرف به مصر القديمة في العالم كله ويعترف العلماء والمهندسون بأنه يجمع الجمال والعظمة الى المتانة والقوة . وفي كل عام يأتي الالوف من اوربا واميركا فيقفون امام الآثار الباقية من هذا الفن معجبين مأخوذين . فمن العجب الاشياء حقاً أن يكون هذا هو تقديرهم له ثم لا نشعر نحن بأن له وجوداً ولا بأن لبلادنا فيه مجداً فنهمله ولا نعمل لاحيائه »

أميل لدويج والتاريخ

عن العصور : — فاذا ما أراد أن يدون تاريخ شخص ظل شهوراً بل سنين يستعرض هذا الشخص في مخيلته فيستوحي فعاله ، ويستنزل إلهامه ، ويعيش كل هذه المدة متقمصاً في شخصيته كما قال عن نفسه . فيبدأ أمره بمعرفة الرجل الذي سيكتب حوادثه ويستجليها . ويتغلغل اليها فيزور الأمكنة التي عاش فيها . ويحصر فكره في فعاله وأعماله . مستقصياً دقائقها ، مستنبطاً أهم شيء فيها فيجتهد والحالة هذه في أن يرى ببصيرته تلك الشخصية كما كانت في حياتها ، وهي تدأب وتفكر

ومن ثم يتخيل البواعث التى أهابت بها فى المواطن العصيبة ، وحالتها الفكرية فى مواقفها التاريخية ، والدوافع الخفية التى كانت تحرك عواطفها ، وتستثيرها فى أهم أعمالها . فيصور بذلك أبطال التاريخ بوضوح وجلاء ، ويندغم فى حياتهم الداخلية والخارجية حتى يبدوا له كأنهم أحياء يأتون أعمالهم — حتى الخصوصية منها — بمرأى منه ومسمع . فيفوز منهم بما لم يفز به أصدقاؤهم الذين عاشروهم . لأنهم لم يتوصلوا الى استجلاء خوافى نفوسهم

وقد اتبع هذه الطريقة عندما ألف تاريخ نابليون ، فقد تسلل الى سويداء نفسه فأبدى مكنوناتها وأظهر ما انطوت عليه ، حتى أنه يؤكد أن ما عزاه اليه غداة واقعة الاهرام ، يكاد يكون كله حقائق واقعية ، لا يمسها الخيال

وكذلك كان تصرفه بتاريخ جوتيه وبسمارك والامبراطور غليوم . ولذا أقبل الناس على مصنفاته فقرأوها بلذة وطالعوها بشوق عظيم

وقد عاب عليه المؤرخون طريقته هـــذه وسموها التاريخ القصصى لكن العالم أجمع على أنها أحسن طريقة لجعل أشخاص التاريخ أحياء يتحركون ويعملون تحت أنظار القراء ، فيطالع هؤلاء على حوادثهم وهم يكادون يحسون بهم ويرونهم بأعينهم . لأن المؤرخ مهما تقيد بوثائق التاريخ لابد أن يضع فى كتاباته شيئاً من روحه

بناء الهرم

عن بوبليك اوبنيون (لندن) — لم تكن القوة الغشوم هى المسيطرة على بناء الهرم الكبير وانما كانت السيطرة للقدرة المنظمة التى دربت على أحسن الاستخدام لشعب من العمال الاقوياء . وليس شك فى أنه كان هناك كثير من الاعمال الشاقة فى بناء الهرم بل الارجح أنه لم يكن فى العالم كله فى ذلك العصر مثـــل هذه الاعمال الشاقة . وليس شك أيضاً فى أنه كانت هناك حوادث من موت أو جرح كما هو الشأن فى جميع الاعمال الانسانية العظيمة . ولكن لم يكن العمال عبيداً يساقون الى الكد حتى يموتوا وانما كانوا بمثابة كوارة النحل تحتوى على العمال الماهرين الذين يعملون عن ارادتهم و رغبتهم و يفخرون بعد ذلك بانه كانت لهم يد فى هذا العمل

هل لمصر أن تلتفت؟

عن السياسة : « عرضت الحكومة التركية على الجمعية الوطنية فى انقرة مشروع قانون خاص بالمهن والصنائع التى يجب ان لا يزاولها الأجانب فى البلاد التركية وستقر الجمعية الوطنية مشروع هذا القانون لأنه كان بناء على طلبها وتحتوى قائمة الحرف والمهن الواردة فى هذا القانون ما يأتى :

الطب . الصيدلة . طب الأسنان . الطب البيطرى . الكيمياء . المحاماة . وظائف البحرية التجارية .

ادارة الجرائد . سائق سيارة . عربجى . عامل النقل فى الميناء . حمل الماء وبيعه . شركات التأمين . صيارف النقود . بائع متجول . خفير املاك المبانى او العقارات . ماسح الأحذية . حمال . فران . عجان . ترجمان . التجارة فى الأصناف التى تحتكرها الحكومة

وعلى كل الأجانب الذين يحترفون احدى المهن التى يحرمها هذا القانون ان يهجروا هذه المهن فى مدى ستة اشهر من تاريخ العمل به

توماس مان

عن النيويورك تيمس : يعد توماس مان احياناً على سبيل الانتقاد من رجال الذهن . ولكن الواقع انه لم يستحق جائزة نوبل الا لأنه من رجال الذهن . وهو يمثل عصر الذهن الذى يكره الانغماس فى الطمطابية الشعرية . . . وقد نشرت له اربعة مجلدات تحتوى على مقالات وخطب وانتقادات وملاحظات . وهو لا يخشى تغيير ارائه فى الشئون السياسية وغير السياسية بتوالى السنين ثم هو يشتهى على الدوام التعبير والافصاح عن تطوره . وقد حاول فى آخر مؤلفاته تحليل افكاره وعواطفه وهو لا يفعل ذلك لفائدته بل لفائدة الشباب الذى يؤمن به و يسير خلفه

ملكة التخيل :

لامير يقطر عن التربية الحديثة : قيل أن موسيقياً وأظنه واجنر (Wagner) وضع لحناً مؤثراً قبل وفاته بأيام ولم يوقع هذا اللحن مطلقا لأن المنية أدركته قبل ذلك . ولما عثر على هذا اللحن بين أوراقه قدم للموسيقيين فوقعوه على آلاتهم ، وقد دهشوا لما وجدوه أنه من أجل ما وضعه ذلك الموسيقى الخالد . ويفهم من هذا أن تخيل واجنر كان قويا جداً حتى أنه كان يسمع اللحن الذى ابتكره يرن فى آذانه رنيناً واضحاً حتى أمكنه أن يضع « نوتة » ذلك اللحن على القرطاس ليوقعه على الآلات الموسيقية غيره بعد موته

لما أمر الخديو اسماعيل باشا بتشيد دار الأوبرا كلف فردى أن يضع رواية تليق أن يفتتح بها هذا الملهى الفنى الشائق وزوده بفكرة أساسية عن هذه الرواية ومعناها وملاءمتها للبلاد المصرية . وأخيراً أخرج فردى رواية عائدة الشهيرة التى افتتحت بها دار الأوبرا ولما حضرها اسماعيل باشا دهش لأنه وجدها مطابقة لما كان يريدها أن تكون . وهذا يدل على مقدار تأثر فردى بالصورة السطحية التى رسمها له الخديوى